صورة المرأة العراقية اليهودية في رواية "فرايم فرايم" لشالوم درويش

د. سلمى عبد المنعم محمد*

مقدمة

لقد كانت البلاد العربية موئلاً لليهود، وذلك لحسن المعاملة التي كان يلقاها اليهود في تلك البلاد ، وكانت العراق من البلاد التي بها جاليات يهودية كثيرة . ولذا نجد أن الصحافة اليهودية ظهرت في العراق في مرحلة مبكرة عن مصر ، حيث أصدر اليهود عام 1863م عدة صحف تهتم بالشؤون المحلية للطائفة اليهودية ، ومن الصحف اليهودية التي كانت تصدر بالعربية المصباح ،البرهان ،البريد اليومي ،دليل العائلة ، وغيرها من الصحف (1) كذلك انتشرت المدارس اليهودية في العراق ، ففى عام 1865م تأسست إحدي كبريات المدارس في بغداد ، التي تضمنت مناهجها الدراسات اليهودية إلي جانب دراسة اللغتين العربية والتركية ، وفى عام 1947م وصل عدد المدارس في العراق عشر مدارس تضم ستة آلاف طالب ، ولكن أغلقت جميع هذه المدارس بعد حرب 1948م (2)

وكانت العائلات اليهودية في العراق علي قدر كبير من الثراء، حيث حققت بعض هذه العائلات في نهايات القرن التاسع عشر ثراءً فاحشاً وذلك نتيجة لتزايد نفوذها الاقتصادي في العراق . (3) حيث كان يعيش عدد كبير من اليهود فى بغداد ، ولكن هاجر غالبيتهم إلى فلسطين من 1948–1951، فوصل عدد المهاجرين 124 ألف يهودى(4)

---

*- مدرس اللغة والأدب العبري الحديث - كلية الآداب - جامعة سوهاج.

1- سهام نصار : اليهود المصريون بين المصرية والصهيونية ، العربي للنشر والتوذيع، القاهرة ، د.ت، ص 10:8 .

وللمزيد عن الصحف اليهودية بالعراق انظر:

האנציקלופדיה העברית , עיראק , ה' ספרית פועלים , ירושלים , 1988 , עמ' 134 .

2-عبد الوهاب المسيرى(د.):موسوعة اليهودواليهوديةوالصهيونية،ج3،دارالشروق،القاهرة،1999،ص511.

3- صموئيل إتنجر : اليهود في البلدان الإسلامية 1850م-1950م ، ترجمة د.أحمد جمال الرفاعي، عالم المعرفة ، الكويت ،1995م ، نسخة الكترونية ، ص40 .

4- عمران أبو صبيح (د.): الهجرة اليهودية حقائق وأرقام ، دار الجليل ، عمان ، 1991، ص43 .

האנציקלופדיה העברית , עיראק , כרך 27 , עמ' 134- 135 .

ولقد تسبب رحيل يهود العراق عام 1950م(1) في ضرر شديد في نظام البنوك في العراق، نتيجة سيطرتهم علي حركة أسواق المال (2) كما عمل هؤلاء اليهود أيضاً في المهن اليدوية، إلي جانب الصرافة ، وإنتاج الصابون والزيوت، والحلويات،والنبيذ، والتجارة(3) وهى نفس الاعمال التى عمل بها يهود مصر(4)

أما عن وضع المرأة (5) اليهودية فقد كان وضعًا متدنيًا في كل الطوائف اليهودية في الشرق، سواء أكان من الناحية الاقتصادية أم الاجتماعية في المجتمع، حيث اقتصر نشاطها علي تدبير شئون المنزل ، كما أنها لم تحظ بأي قدر من التعليم الرسمي ، فكان شأنها فى ذلك شأن كل نساء الشرق(6)اللواتي لا يعرفن القراءة والكتابة، باستثناء بعض الحالات النادرة ، ولقد تغير هذا الوضع فى العراق بعد الحرب العالمية الأولى ، حيث خرجت المرأة اليهودية للعمل فى العراق فعملت 60% من النساء بالحياكة ، و20% بالجهات الحكومية ، وعملت 8% منهن بالطب ، 8% بالتدريس ،ورغم ذلك لم تتعد نسبة النساء اليهوديات العاملات بالعراق 5,6% مقابل 78% للرجال (7)

1- صدق البرلمان العراقى فى مارس من هذا العام على قانون يقضى بالسماح ليهود العراق بالهجرة شرط التنازل عن الجنسية العراقية ، وكافة الممتلكات ، وكان الخروج من العراق حيث لم يتبق منهم سوى خمسة آلاف ، وذلك بسبب طرد الجانب العربى لهم عقب اعلان قيام إسرائيل ، وجذب العناصر الصهيونية الاسرائيلية لهم .
جلاء إدريس(د.): صورة اليهودى الشرقى فى الأدب العبرى المعاصر،عالم الفكر ،عدد3 ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون ، الكويت ، 1996 ، ص 68 .

2- صموئيل إتنجر : اليهود في البلدان الإسلامية ، مرجع سابق ، ص42 . 3- المرجع السابق ، ص30.

4- نبيل عبد الحميد سيد(د.):الحياة الاقتصادية والاجتماعية لليهود فى مصر1947-1956، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، 1991 ، ص 18 -51 .

5- بدأت المرأة اليهودية تشغل مكانة مرموقة فى اسرائيل منذ بداية القرن العشرين .

Encyclopaedia Judaica ,Woman,volume16, Keter House Jerusalem,1971, p628-629.

6- تكون النساء ثلث القوة العاملة في العالم ، ولكن يختلف عدد النساء العاملات من بلد إلي آخر، وذلك وفقاً للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في هذه البلدان ، فنجد مثلاً أن عدد النساء العاملات في دول شرق أوربا يصل إلي نسبة 40% من القوي العاملة ، في حين أن هذه النسبة تنخفض كثيراً في غير ذلك من البلدان، وبنسب متفاوتة أيضاً . للمزيد انظر :
- سامية محمد فهمي(د.): مشاركة المرأة العربية في التنمية، دار المعرفة، الإسكندرية، 2002 ، ص71.

7- صموئيل إتنجر : اليهود في البلدان الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 65:67 .

فالمعروف أن المرأة لا تنفصل عن خصالها الطبيعية التي ولدت بها، بل تكتسب خصالاً جديدة تتكيف معها ، وفقاً لنشأتها، وبيئتها ، ومكانتها في مجتمعها ، فالمرأة هي المرأة في كل العصور، والمرأة اليهودية كانت وظيفتها الأولي كأي امراة هي إنجاب الأطفال، ووفقاً لهذا الإنجاب تتحدد مكانتها لدي زوجها، ولدي مجتمعها .(1)

ولقد فرض القانون اليهودى خضوع الزوجة (2)لارادة زوجها فى إدارة شئونها المالية ، فمن حق الزوج الانتفاع من ريع ممتلكات زوجته دون التصرف فى الأصل ، وفى عام 1674 اعطى القانون اليهودى المرأة حرية التصرف فى ممتلكاتها ، وجعل كل من الزوجين مسؤلاً عن ممتلكاته ، ورغم هذه التعديلات الدائمة فى الشريعة إلا أن المرأة اليهودية ظلت ليس لها إلا بعض الحقوق القليلة جدًا فى الميراث فهى لا ترث أبيها ولا ترث أمها وليس لها الحق فى ميراث زوجها رغم أن الزوج يرث كل ما لزوجته من أموال (3)

و كان من بين العوامل التي أسهمت في تحرير المرأة اليهودية في العراق ، أن الحركة الصهيونية أرسلت مبعوثيها إلي العراق، لتوعية اليهود هناك بطبيعة النشاط الصهيوني ، ولذا شجعوا المرأة علي الحصول علي قدر وافر من التعليم (4)

<u>أسباب اختيار الموضوع</u> : جاء هذا البحث لدراسة:

1) صورة المرأة العراقية اليهودية، من أجل إلقاء الضوء عليها .

1- سيد سليمان عليان(د.) : نساء العهد القديم – دراسات في الأنساب والمعاني ، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م ، ص19 .

2– الشريعة الإسلامية كانت أكثر الشرائع اعترافاً بالمرأة ، وحقوقها في شتي المجالات ، فلقد أعطي الإسلام المرأة العديد من الحقوق ، ومثل هذه الحقوق عديدة والتى كان من أجلها أن أعطاها الحرية في اختيار زوجها ، كما أعطاها الحرية في التصرف فيما تمتلك أسوة بالرجل . للمزيد انظر:

- نادية حامد قورة : تاريخ المرأة في الحياة النيابية في مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ، 1996م ، ص 14.

3– سوزان السعيد يوسف (د.): المرأة فى الشريعة اليهودية حقوقها وواجباتها (دراسة مقارنة مع حضارات الشرق الأدنى القديم)، عين للدراسات والبحوث، القاهرة ، 2005 ، ص104 .

4- صموئيل إتنجر : اليهود في البلدان الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 67 .

2) أهمية دور المرأة اليهودية(1) في الحياة بشكل عام سواء أكان هذا الدور دورًا إيجابيًا أم دورًا سلبيًا .

3) أهمية رواية شالوم درويش שלום דרוויש (2) "فرايم فرايم" פריים פריים (3)التي تعد من اهم المحاولات في الأدب العبري الحديث ، التي تتناول حياة اليهود في العراق (4) وإن كانت قد سبقتها روايات سامي ميخائيل סמי מיכאל (5)

1-اليهودى هو من ولد لأم يهودية ،أو اعتنق الديانة اليهودية حتى ولو لم يكن لأب يهودى . وهذا يمثل رأى أ.ب. يهوشوع ، فحتى اليوم لم تحل فى إسرائيل مشكلة من هو اليهودى ، وهو ليس موضوع البحث .
للمزيد انظر : - יהושע, א.ב. בזכות נורמליות , ה' שוקן , ת"א ,1980 , עמ' 110- 111 .

2- شالوم درويش (1913 -1997) كاتب مسرحي وصحفي ، له العديد من الأعمال من أفضلها مجموعته القصصية "الأحرار والعبيد" التي نشرت في بغداد عام 1941م ، ومجموعته "بعض الناس" التي نشرت عام 1948م ، ارتبط بالحياة الشعبية ،والاجتماعية، والثقافية في العراق ، وهاجر إلي اسرائيل عام 1950 .

للمزيد انظر :

- דרוויש, שלום . פריים פריים !، ה' בימת קדם לספרות ، תל- אביב ، 1986 ، עמ' 7 -8 .

- عبد الإله أحمد : الأدب القصصى فى العراق ،كتابخانه إنترنتى تبيان ، 118-119 .
http: // WWW . tebyan.net/ index.aspx?pid 9/1/2011.

- عبد الكاظم العبودى(د.) : أزمة هوية أم بنيوية ، الشعب ، 23/ 9 / 2009 .
http: // WWW .ech.chaab.net/old/index.php.?

3- فرايم فرايم هكذا ينطق يهود العراق اسم إفرايم وكانت هذه هي المحاولة الأولي لشالوم درويش في الكتابة باللغة العبرية ، والتي يصف بها المجتمع اليهودي في العراق وحياة المرأة ومشاكلها .

- דרוויש ,שלום. פריים פריים !، עמ' 9 .

4- שם ، עמ' 9 .

5- سامي ميخائيل : ولد في بغداد عام 1926م ، كان والده تاجرًا ، بدأ الكتابة منذ كان عمره 17 عامًا ، انضم إلي الحزب الشيوعي العراقي ،وناضل في صفوفه عام 1949م، ثم هاجر إلي اسرائيل مع عائلته ، له العديد من الروايات ،التى تناولت يهود العراق وحياتهم ، عام 2001 انتخب رئيساً لجمعية حقوق المواطن فى إسرائيل .

לקסיקון הספרות העברית החדשה , סמי מיכאל
http: // WWW library. Osu.edu/projects/Hebrew-lexicon/00355.php 9/1/2011.

حسونة المصباحي:سامي ميخائيل ، أنهم يدمرون مدينة شبابي ، الشرق الأوسط ، العدد 8989، 2003م.
http: // WWW awsat.com/ detalls.asp?section 9/1/2011.

שווים ושווים יותר " متساوون ومتميزون "التى صدرت عام 1974 ، חסות "ملاذ" التى صدرت عام 1977 ، חצוצרה בואדי "بوق فى الوادى" صدرت عام 1987 ومثل "ויקטוריה " فيكتوريا"(1) التى صدرت عام 1993 م ، وقد ترجمت للهولندية والإنجليزية والفرنسية ،ومثل رواية "יונים בטרפלגר "حمائم فى ترافلجار"(2) صدرت عام 2005 م(3) وكذلك أعمال شمعون بلاص שמעון בלס (4) مثل המעברה "معسكر الانتقال " التى تتحدث عن المشاكل التى واجهها اليهود فى معسكر الانتقال بعد هجرتهم إلى إسرائيل (5)

الدراسات السابقة :

هناك بعض الدراسات التى تناولت المرأة منها :

1- نجلاء رأفت أحمد : المرأة فى أعمال عماليا كهانا كرمون ، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة .

2- سوزان السعيد : المرأة فى الشريعة اليهودية حقوقها وواجباتها (دراسة مقارنة مع حضارات الشرق الأدنى القديم)، 2005.

1– و تدور أحداثها فى بغداد عاصمة العراق ، حول عائلة يهودية عراقية تعيش فى الحى اليهودى منذ بداية القرن التاسع عشر ، وحتى الهجرة إلى إسرائيل .

للمزيد انظر : - אורן ,יוסף . מגמות בסיפורת הישראלית ,ה' יחד , 1995 , עמ' 136 – 137.

- رواية" فيكتوريا "أشكال السرد وتحيزات السارد ، جريدة تاتوو ، 20 / 7 / 2010.

http: // WWW tatoopaper.com/ news.php? 9/10/2010.

2- وتتناول حياة أسرة فلسطينية فقدت أحد أبنائها عام 1948 م ، ليصبح جنديًا إسرائيليًا ، ويدعى " زئيف أفشتاين "، وهى استكمال لرواية غسان كنفانى (1936 – 1972)- الروائى والقاص الفلسطينى- "عائد إلى حيفا" التى صدرت فى نهاية عام 1967 ، وتحمل رؤية نبوئية حول مستقبل آخر للفلسطينى واليهودى

ספרים חדשים ביוני 2005

http: // WWW text . org.ilindex.php? 9/10/2010

نبيل عودة : الكاتب العبرى الكبير سامى ميخائيل فى روايته حمائم الطرف الآخر يبدأ من حيث انتهى غسان كنفانى

http: // WWW aloroba news.com. 11/10/2010.

3 – לקסיקון הספרות העברית החדשה , סמי מיכאל

http: // WWW library. Osu.edu/projects/Hebrew-lexicon/00355.php

4– شمعون بلاص: ولد فى بغداد عام 1930 ، درس الصحافة ،و نشر العديد من الاعمال عام 1951 هاجر إلى إسرائيل وعمل بالصحف العربية ، نشرت أول رواياته عام 1964 وكانت بعنوان המעברה معسكر الانتقال ، ومنذ صدرت تلك الرواية لم يعد للكتابة باللغة العربية .

לקסיקון הספרות העברית החדשה , שמעון בלס

http: // WWW library. Osu.edu/projects/Hebrew-lexicon/00355.php 9/1/2011.

5– جمال عبد السميع الشاذلى(د.) ونجلاء رأفت (د.) : القصة العبرية الحديثة مراحلها وقضاياها ، ط3، الثقافة للنشر، القاهرة ، 2008 ، ص 103 .

وهناك العديد من الدراسات التى تناولت الأدباء ذوى الأصول الشرقية ومن بينها :-

1- أحمد كامل راوى : الشخصية العربية فى الرواية العبرية لدى الأدباء ذوى الأصول الشرقية ، رسالة دكتوراة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة .

2- محمد جلاء إدريس : صورة اليهودى الشرقى فى الأدب العبرى المعاصر، بحث منشور .

وجميع الدراسات السابقة لم يتم فيها تناول رواية " فرايم فرايم " لشالوم درويش .

ملخص الرواية :

تدور أحداث الرواية حول أسرة يهودية كانت تعيش فى العراق ، وتتكون هذه الأسرة من أب وأم وأربع بنات ، تزوجت منهن اثنتان وتبقت اثنتان هما رفقة רבקה ودوريس דוריס تقدم لهذه الأسرة ذات يوم رجل ثرى يطلب الزواج من الابنة الكبرى رفقة ، التى كانت تحب صديقها يوسف יוסף، فلم توافق عليه ولكن العمة دينا דינה ،لم يعجبها هذا الأمر لذا اقنعت الصغيرة دوريس بهذا العريس الثرى رغم فارق السن الكبير بين ابنة أخيها دوريس وبينه، حيث كان عمرها تسع سنوات بينما كان سن العريس خمس وثلاثين عامًا والسبب فى ذلك هو الثراء الفاحش لهذا العريس ، وقد قصت لنا بطلة الرواية كم عانت من هذا الزواج بدأ من حرمانها من اللعب مع الأطفال حتى لا يبدو سنها الصغير أمام النساء القادمات لخطبتها ، كما قامت العمة بالاهتمام بزينتها حتى تنال رضا هؤلاء النسوة ، وبالفعل أعجبت أم العريس بدوريس وبدأت الخطبة ومراسمها بحضور الحاخام شمعون שמעון الذى سيعقد الزواج ،ولقد أطال هذا الحاخام النظر إلى دوريس ثم قال لأهل العروس أن عليهم الانتظار لبعض الوقت لأن العروس مازالت طفلة ، وبالفعل اقتنع أهل العروس بهذا الحديث ، وإن كان هناك بعض الرفض من جانب أهل العريس ، ولكن سرعان ما تمت الموافقة على انتظار العروس حتى البلوغ ، بل ولمدة عام آخر بعد البلوغ حتى يتم نضج الفتاة ، و جاءت مرحلة انتظار بلوغ الفتاة من أجل اتمام العرس ، وخلال هذه المرحلة كانت العمة هى القلب الحنون الذى يحتوى البطلة ، وبعد ذلك تبدأ مراسم ليلة الحناء، والزفاف، وليلة الصباحية ، ثم تبدأ حياة دوريس فى بيت الزوجية مع حماة طيبة تحاول أن تشعرها بأنها جاءت إلى بيتها

الثانى، ثم تحمل دوريس ويأتى ابنها الأول منسى الذى لم تشعر نحوه بالأمومة بسبب صغر سنها ولذا أحضر زوجها مرضعة لهذا الطفل المسكين ، ثم مرت الشهور لتحمل دوريس بطفلها الثانى الذى كانت تتمناه الحماة حتى تسميه على اسم أبيها إفرايم ، وبالفعل تنجب دوريس إفرايم الذى غير حياتها وحرك بداخلها الأمومة ، حيث أرضعته دوريس بنفسها ، وبذا تنتهى الرواية برضا دوريس عن حياتها الجديدة .

وقد مرت دوريس بطلة رواية " فرايم فرايم" بعدة مراحل هى مرحلة الطفولة بأنواعها الثلاث المبكرة والوسطى والمتأخرة ،والتى تمت خلالها الخطبة و مرحلة المراهقة والبلوغ، ثم مرحلة النضج والتى تمت خلالها مراسم الزواج ، ثم مرحلة الولادة والشعور بالأمومة ، وإن كان هذا الشعور قد تأخر إلى المولود الثانى .

أولاً :المرأة العراقية اليهودية ومرحلة الطفولة

إن مرحلة الطفولة هي المرحلة الأولي من حياة الإنسان ،وهي من أهم مراحل النمو التي يمر بها ،فهي حجر الأساس في بنائه ، وتكوينه ، وهي تنقسم إلي أربع مراحل ، مرحلة المهد ،ثم مرحلة الطفولة المبكرة ، ثم مرحلة الطفولة الوسطي ،ثم مرحلة الطفولة المتأخرة (1)

وقد تناول "شالوم درويش" في الفصل الأول الذى عنونه ب ילדות "طفولة" ، ذكريات بطلة الرواية "دوريس" عن طفولتها ، وكيف أنها حرمت من هذه المرحلة من أجل أن تتزوج من رجل ثرى ، يكبرها بستة وعشرين عاماً ، حتي يتحسن وضع أسرتها السيئ .

1- عبد الرحمن البابطين : أهمية مرحلة الطفولة ، بناء الأجيال (2011/1/13)
http: // WWW . benaalajyal.com/ pro/play.abhp?catmktba=117

أ- ذكريات دوريس عن طفولتها المبكرة (1)

لم يسهب الكاتب فى الحديث عن مرحلة الطفولة المبكرة لبطلة روايته ، بل إننا نجد البطلة فى أحايين قليلة تعود بذاكرتها إلى أيام الطفولة المبكرة ، من ذلك حديثها عن جارها "ديفيد" حيث تقول : " בהיותי בת חמש ، שלחו אותי ל"חדר"... יום יום הלכתי לשם עם דוד שכני . היינו הולכים שלובי ידים. גם בחדר ישבנו זה ליד זה . דוד היה מבוגר ממני בשנתים .הוא היה חזק ויפה מכל ילדי השכונה . " (2)

"عندما بلغت الخامسة بعثت إلي " الحيدر"(3)...، كل يوم كنت أذهب مع جاري ديفيد. وكنا نسير متشابكي الأيدى ، و في الحيدر أيضًا جلسنا بجوار بعضنا ، كان ديفيد أكبر مني بعامين . وكان قوياً وجميلاً أكثر من كل أطفال الحي . "

من حديث دوريس نلمح مدى تعلقها بطفل يكبرها بعامين، وفى ذلك نبرة تفصح عن إعجاب بهذا الطفل دون غيره، والسبب فى ذلك نظرتهاإلى قوة هذا الطفل وجماله الذى تفرد به عن أطفال الحى جميعًا وهو مايشير إلى حنين البطلة لأيام الطفولة . وهذا أيضًا تجسيد للاغتراب الزمنى(4)الذى تعيشه الشخصية اليهودية .

ثم تتحدث دوريس عن تعلقها بهذا الطفل اليهودي، حتي أنها تساءلت ذات مرة ما إذا كان هذا حباً إلا أنها نفت ذلك بسبب صغر سن كليهما ، تقول :

" הוא דבק בי כפי שאני דבקתי בו . האם היתה זו אהבה ? ייתכן , אבל היתה זו אהבת ילדים " (5)

1-تبدأ مرحلة الطفولة المبكرة من سن عامين ،وحتى ستة أعوام، ويكون خلالها الطفل أقل اعتمادًا على الأفعال الحسية الحركية ، حيث يتحول إلى كائن يعتمد على الفعل ، ويستخدم البناء الفكرى .
- روبرت واطسون وهنرى كلاى : سيكولوجية الطفل والمراهق ، ترجمة د . داليا عزت مؤمن ، مكتبة مدبولى، القاهرة ، 2004 ، ص 319 .

2 – דרוויש ,שלום . פריים פריים !، עמ' 23 .

3- الحيدر: الحجرة، وهى مدرسة ابتدائية تقليدية لدراسة الاطفال ، ويصل عدد الدارسين فيها نحو 25 تلميذًا فى الفصل . אנציקלופדיה יהודית , חנוך , חדר .
http: // WWW . daat.ac.il/encyclopedia/value.asp?id1 9/11/2010.

4 – عن الاغتراب وأنواعه راجع :
أحمد حماد (د.) : الاغتراب فى الأدب العبرى المعاصر ، عالم الفكر ،عدد3 ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون ، الكويت ، 1996 ، ص 38- 39 .

5- דרוויש ,שלום . פריים פריים !، עמ' 23 .

" لقد تعلق بي مثلما تعلقت به، هل كان هذا هو الحب؟ ربما ، غير أنه حب أطفال . "

فى هذا التساؤل الملح المقلق الذى تفجر على لسان الطفلة دوريس ما يشير إلى وهم كامن مستترفى مخيلة الطفلة . كما تذكر عن هذا الصبي أنه كان قائداً لكل الصبية في الحيدر :

" דוד היה מנהיגם של הילדים . הם נשמעו לו ללא ערעור . "(1)

"كان ديفيد زعيم هؤلاء الأطفال . لقد استمعوا له دون أي إعتراض "

تحدثت دوريس عن الصبى بنبرة توحى بالاعجاب الشديد له .

ومن خلال حديث البطلة يتضح أن السبب في تعلقها بهذا الصبي دون غيره، هو سيطرته علي الأطفال ، ففي هذه المرحلة من الطفولة ، يلاحظ أن بعض الأطفال يميلون إلي السيطرة علي زملائهم ، وتعد هذه المرحلة مرحلة للنمو المعرفي (2)

ثم تحدثت البطلة عن تعلقها بهذا الصبى ، ولعبها الدائم معه فى الحى اليهودى بالعراق ، وكيف كانت الأسرة تعاقبها هى فقط ، ولا تعاقب هذا الولد، حين يحدث أى خطأ ، لذا كانت تتساءل :

" מדוע פגעו רק בי ? האם בשל היותי ילדה ? לא הבנתי ..... בכיתי ובכיתי ." (3)

" لماذا ألحقوا بى الأذى أنا فقط ؟ هل لكونى طفلة ؟ لم أفهم .... بكيت وبكيت . "

شعور البطلة هنا بالقهر ناجم عن معاقبتها بالضرب دون معاقبة المذنب معها .

ب- ذكريات دوريس عن مرحلة طفولتها الوسطى (4)

بدأت " دوريس "حديثها عن تلك المرحلة ،بذكرياتها حول الوضع المادى المحدود للأسرة ،

1– דרוויש, שלום . פריים פריים !، עמ' 23 .

2 –راجع ، روبرت واطسون وهنرى كلاى : سيكولوجية الطفل والمراهق ، ص 467 –468 .

3 – דרוויש, שלום . פריים פריים !، עמ' 25 .

4 – مرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة والتى تبدأ منذ دخول المدرسة وحتى مرحلة المراهقة ، وفيها يبدأ الأطفال الاندماج مع العالم الخارجى بشكل كبير وبعيدًا عن العائلة ، وتلعب المدرسة دور مهم كعامل اجتماعى فى حياة الطفل .

– راجع ، روبرت واطسون وهنرى كلاى : سيكولوجية الطفل والمراهق ، ص 461 .

فقد كان لها إخوة كثيرون(1) ،ولذا حين يتقدم عريس ،كانت العائلة تقبله على وجه

السرعة، دون فحص أو تدقيق . فقد جاء على لسان " دوريس " :

" כך הגיע גם זמנה של אחותי רבקה. רבקה היתה יפה מאד . במשפחה התנבאו שהיא תזכה לחתן הטוב מכל אחיותיה .היא היתה כבת שש-עשרה ואני בת תשע. בעיני הורי נערה בת שש-עשרה נחשבה בוגרת ,ובמשפחתנו ציפו הכל לחתן שיגאלנה . "(2)

" عندما جاء دور أختى رفقة . كانت رفقة جميلة جدًا ، وكانت تتوقع العائلة أنها ستحصل على أفضل عريس فى أخواتها . كان عمرها ستة عشر عامًا أما أنا فتسعة أعوام، وفى نظر والدى أن الفتاة التى يبلغ عمرها ستة عشر عامًا ، تصبح ناضجة، وتأمل الأسرة بأكملها فى عريس ليخلصها . "

تسترجع البطلة هنا مرحلة طفولتها الوسطى، وفى استرجاعها لهذا الماضى ، اهتمت بذكر التفصيلات كجمال أختها رفقة مما تسبب فى توقع أسرتها حصولهاعلى أفضل عريس ، كما ذكرت عمر رفقة ستة عشر عامًا ،وعمرها تسعة أعوام وهو ما يشير إلى الفارق الكبير فى العمر بين البنتين . وقد كان ذلك سببًا فى أن تلجأ هذه الطفلة ،إلى مراقبة اختها الكبرى "رفقة" ، لدرجة أنها كانت تسير وراءها فى الطرقات حتى تعلم إلى أين تذهب ، وماذا تفعل . تقول :

" נהגתי לעקוב אחרי רבקה , וגילתי שאכן היא מאוהבת .אהובה היה יוסף ,בן כיתתה בבית-הספר התיכון. יוסף, שהיה בחור יפה –תואר ,בן גילה של רבקה , נהג לבוא לביתנו כדי ללמוד עם רבקה .הוא נהג להביא איתו ספרים .אולם אני ידעתי שלא לשם כך בא .... " (3)

" اعتدت السير وراء رفقة ، فاكتشفت أنها تحب . كان حبيبها يوسف ، ابن صفها فى

1– يتزايد أعداد اليهود من الطوائف الشرقية بنسبة كبيرة بسبب ارتفاع عدد المواليد داخل هذه الطوائف. للمزيد انظر פרס ,יוחנן.יחסי עדות בישראל , ה' ספרית פועלים ,תל–אביב , 1985 ,עמ' 45–46. ג'נור ,פני. פערים חברתיים וכלכליים בישראל , ה' עם עובד,תל–אביב, 1963 ,עמ' 116.

2– דרוויש, שלום . פריים פריים !، עמ' 25 .

3- שם ، עמ' 26 .

المدرسة الثانوية . يوسف (1) الذى كان شابًا جميل المنظر، صديق رفقة ، الذى اعتاد المجيء إلى منزلنا ليدرس مع رفقة . واعتاد أن يحضر معه كتبًا . لكننى عرفت أنه لم يأت لذلك ....."

أعتمد" شالوم درويش" فى سرده القصصى على ضمير المتكلم للبطلة دوريس حتى ينقل إلينا طبيعتها فى ملاحقة أختها الكبرى من أجل الوصول إلى كشف العالم الداخلى بكل ما فيه من آمال وآلام .

ج- ذكريات دوريس عن مرحلة طفولتها المتأخرة :-

لقد شملت هذه المرحلة معظم أحداث الرواية ، حيث تبدأ بقدوم "أم ساسون " אום ששון الخاطبة التى كانت تحضر أزواجًا للفتيات اليهوديات ، وحين علمت أختها رفقة بمجيء هذه المرأة حزنت ، واندفعت تجرى من أمامها، لأنها لا تريد أن تتزوج بهذه الطريقة .

ذكرت لنا " دوريس " أن أمها حين نادت على "رفقة" لتراها " أم ساسون " قالت :

"רבקה ,בואי .אום ששון רוצה לראות אותך מקרוב.רבקה ניגשה לאמא. אולם , כאשר שמעה שאום –ששון היא שדכנית , ברחה ,כשהיא צורחת : "אני לא רוצה להתחתן.לא רוצה .מה פתאום ? אני רוצה ללמד . " (2)

" تعالى ، يا رفقة . أم ساسون تريد أن تراك من قريب . اقتربت رفقة من أمى . لكن ، عندما سمعت أن أم ساسون "خاطبة " ، هربت ، وهى تصرخ :" أنالا أريد أن أتزوج . لا أريد . لماذا المفاجأة ؟ أنا أريد أن أتعلم . "

يبدو واضحاً أن رفقة شعرت بالنفور وعدم الاستقرار حين علمت بأن "أم ساسون"خاطبة وهو ما أدى إلى حدوث صراع داخلى تسبب فى هروبها من أمام أمها والخاطبة ، وهى تردد لا أريد الزواج ، أريد أن أتعلم ، ومع أن المقرا اعترفت صراحة بسلطة الأب على

1–لقد وصف شالوم درويش يوسف فى روايته بأنه " جميل المنظر" وهو نفس الوصف الذى ورد فى المقرا عن سيدنا يوسف عليه السلام وفى ذلك محاولة منه لتوجيه فكر القارئ إلى قصة سيدنا يوسف عليه السلام . للمزيد راجع : سفر التكوين (39/ 6)

2– דרוויש ,שלום . פריים פריים !، עמ' 29 .

أبنائه ، إلا أنها أوردت بعض الحالات التى تم فيها استشارة العروس فى أمر زواجها(1)

عندما لاحظت الأم ما تفعله ابنتها رفقة أمام الخاطبة ، ما كان منها إلا أن قالت :

"תסלחי לה אום-ששון .היא רק ילדה ,אבל מי כמוך יודעת שהיא עוד תרצה . "(2)

"فلتعذريها يا أم ساسون . فهى مجرد طفلة، (3) ولكن من مثلك تعلم أنها سوف توافق ."

لقد تسبب هروب الفتاة من أمام أمها والخاطبة أم ساسون فى شعور الأم بالحرج أمام الخاطبة مما جعلها تسوق أسباب حدوث ذلك الأمر ، وأن ابنتها ما زالت طفلة .

ويلاحظ أن هناك تشابه بين الرواية محل الدراسة وقصة כריתות " طلاق " للكاتبة ديبورا بارون דבורה ברון(4) التى عبرت عن الوضع المهين للمرأة بسبب التراث اليهودى(5) وإن كان ذلك من جانب آخر وهو الطلاق

وعندما تحدثت الخاطبة عن العريس ،وأنه من عائلة ثرية، ولديه الكثير، قالت لهم :

"הוא עשיר כקורח .יש לו ויש לו ,ומה אין לו ? כסף יש לו ,אדמות יש לו , אוטומוביל אמריקאני באורך אוניה יש לו, וגם ארמון על שפת הנהר . אני מבטיחה לך שיעלה למיטתה בסולם עשוי זהב . " (6)

" إنه ثرى مثل قارون . لديه ولديه، وما لا يوجد لديه ؟ لديه المال ، ولديه الأراضى ، ولديه سيارة أمريكية بطول سفينة، وأيضا قصرعلى شاطىء النهر. أنا أؤكد لك أنه سيصعد إلى مخدعها بسلم من الذهب . "

1- محمد سبعاوى محمد (د.) : الزواج فى الشريعتين اليهودية والاسلامية ، رسالة دكتوراة ، غير منشورة كلية اللغات والترجمة ، جامعة الأزهر ، 1984، ص 58 .

2- דרוויש ,שלום . פריים פריים ، עמ' 29 .

3- تعددت طرق ووسائل استغلال المرأة اليهودية ، وهذا الاستغلال كان مؤيدا من رجال الدين . للمزيد عن المرأة اليهودية انظر :

- ديب على حسن : المرأة الصهيونية ، ط 1 ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، 1995 ، ص 67 .

4- ديبورا بارون (1887-1956) كاتبة عبرية ، ولدت بروسيا البيضاء ، هاجرت إلى إسرائيل عام 1911 ،حصلت على جائزة بيالك عن مجموعتها القصيرة קטנות "صغيرات " التى صدرت عام 1933 ، מה שהיה " ما كان " صدرت عام 1938 .

- שאנון, אברהם . הספרות החדשה העברית והכללית , ה' יבנה , ת"א ,1959 , עמ' 138- 139 .

5- للمزيد عن القصة راجع : جمال عبد السميع الشاذلى(د.) ونجلاء رأفت (د.) : القصة العبرية الحديثة مراحلها وقضاياها ، ص 115–119.

6 – דרוויש ,שלום . פריים פריים !، עמ' 30 .

اهتمت الخاطبة بذكر الوسط الاجتماعى لهذا العريس كنوع من الترغيب فيه وتحفيز الفتاة وأسرتها على الموافقة عليه ، وبذلك تصبح ظاهرة التأثير والتأثر هى العمود الفقرى لهذا الاقناع .

وعندما حدد ميعاد لزيارة أهل العريس ، حيث يذهب فى البداية نساء لزيارة أهل العروس والتعرف عليهم ، وبعد عودتهن يكون عليهن أن يصفن كل شيء وقعت عليه أعينهن إلى هذا العريس (1) وهو ما يحدث فى المجتمع العراقى ، أو العربى بوجه عام (2)

ولكن بعد هذه الزيارة لايكون أمام العروس الشابة أى خيار سوى أن توافق .

ورد فى الرواية : " ולנערה לא תהיה ברירה . היא תהיה חייבת לציית . "(3)

" ولا يكون للفتاة خيار . فهى تكون مضطرة للإذعان ."

توضح هاتان الجملتان القهر الذى يمارس ضد الفتاة ، التى تجبر على الموافقة على عريس لمجرد أنه ثرى ، وأنها أعجبت أسرته .

ولكن الابنة " رفقة" ترفض هذا العريس ، رغم ما ذكرته الخاطبة . حيث تقول لأمها :

" לא ולא ולא .שמעתם ? הרביצו לי.בבקשה ! אבא! אתם יכולים להכות אותי ככל שתרצה , זה לא יעזור לך . לא איכפת לי מי הוא החתן ... "(4)

" لا ولا ولا هل سمعتم ؟ اضربونى . من فضلكم ! إنك تستطيعون ضربى كلما أردت يا أبى! ولكن هذا لن يفيد ، فلا يهمنى من هو العريس . "

رغم كل القهر الذى مارسته أسرة العروس عليها من أجل الموافقة ، نلاحظ مدى إصرار رفقة على رفض مثل هذه الزيجة، وهذا العريس رغم كل ما ذكرعن ثراءه الفاحش والذى يؤكد ذلك ماجاء على لسان رفقة לא איכפת לי מי הוא החתן لا يهمنى من هو العريس .

---

1 – דרוויש ,שלום . פריים פריים !، עמ' 30 – 31 .

2– لا تسمح العادات والتقاليد والأخلاق للرجل العراقى اختيار زوجته بنفسه ، ولاتسمح بمشاهدتها أو الاختلاط معها قبل ليلة الزواج ، ومسألة زواج الرجل توكل لعائلته أو أهله خصوصًا والديه اللذين يتحملان مسئولية اختيار زوجة مناسبة له .

إحسان محمد الحسن(د.): العائلة والقرابة والزواج ، دار الطليعة ، بيروت ، 1985 ، ص 59 .

3– דרוויש ,שלום . פריים פריים !، עמ'31 .

4 – שם ، עמ' 31 .

ويغتاظ الأب من رد ابنته فيقول لها :

" רבקה ! דעי לך שמרגע זה אין לימודים .את כל הספרים אזרוק לזבל . נגמר.אין עוד בית-ספר .והחבר שלך ,מה שמו ? גם הוא לא יבוא לכאן .גמרנו עם השטויות כל אחיותייך התחתנו בשקט. במה את שונה מהן ? "(1)

" رفقة ! ليكن معلومًا لديك أنه منذ هذه اللحظة ،لادراسة . وجميع الكتب سوف ألقيها فى سلة المهملات . انتهى . وليست هناك مدرسة . وصديقك ، ما اسمه ؟ لن يأتى إلى هنا انتهينا من الحماقات . جميع أخواتك تزوجن فى هدوء . ففيم تختلفين عنهن ؟ "

ويبدأ الأب فى الضغط على ابنته بطريقة أخرى، وهى حرمان ابنته من التعليم، وحرمانها من الخروج واستقبال أى شخص ولو كان صديقها يوسف الذى تحبه . والسبب فى إلحاح الأب على ابنته فى هذا العريس ، ومحاولة الحصول على موافقتها هو أن الخطبة فى اليهودية لابد أن تتم وفق الارادة الحرة للرجل والمرأة دون إجبار ولا إكراه . (2)

فترد رفقة على والدها ، وهى مصممة على رفضها لهذا العريس قائلة :

" אבא ,אתה יכול להרוג אותי ! אני דווקא רוצה למות . "(3)

" أبى إنك تستطيع أن تقتلنى ! فأنا بالضبط أريد أن أموت "

رغم كل ضغوط الأب على ابنته نجد اصرار شديد من قبل الفتاة رفقة الأخت الكبرى لدوريس ،على الإيحاء لأبيها برغبتها فى الموت ،ولكن لن تتزوج هذا العريس .

وأثناء هذا النقاش الحاد، والمتصاعد بين الفتاة رفقة، وأبيها من أجل الزواج من العريس الثرى، تأتى العمة "دينا" وتطلب من الأب الذهاب للراحة، على أن تقوم هى بإقناع الفتاة حيث قالت له : " תן לי לדבר עם רבקה . היא בחורה טובה, בחורה נהדרת !תן לי לדבר איתה . " (4)

" اسمح لى بالحديث مع رفقة . فهى فتاة جيدة ، فتاة لطيفة ! اسمح لى بالحديث معها . "

---

1 – דרוויש,שלום . פריים פריים !، עמ' 31 .

2– محمد سبعاوى محمد (د.) : الزواج فى الشريعتين اليهودية والاسلامية ، مرجع سابق ، ص 36 .

3- דרוויש ,שלום . פריים פריים !, עמ' 31 .

4– שם , עמ' 31 .

بعد فشل جميع محاولات الأب من أجل إقناع رفقة والضغط عليها من أجل قبول العريس، يبدأ دور العمة فى محاولة لإتمام هذا الأمر .حيث تبدأ العمة الحديث مع رفقة لإقناعها قائلة : " רבקה , אמרה לה דודתי, אינך יודעת מה את עושה .מדובר בחתן מיוחד , לא ככל החתנים . תהיי מלכה בארמון ..... " (1)

" رفقة ، قالت لها عمتى ، إنك لا تعرفين ماذا تفعلين . نتحدث عن عريس فريد ، ليس ككل العرسان . ستكونى ملكة فى قصر ....."

تستكمل العمة محاولة الأب فى الضغط على الفتاة من أجل قبول العريس حيث تبدأ بالترغيب فى العريس ومميزاته عن بقية العرسان . ثم تستطرد محاولة إقناع رفقة بشتى الطرق قائلة لها :

" הערב יבואו נשים מכובדות להכיר אותך ..... הכנתי לך שמלה מפוארת ."(2)

" هذا المساء . ستأتى نساء محترمات للتعرف عليك.....لقد أعددت لك فستانًا رائعًا . "

رغم محاولة العمة التأثيرعليها بإحضارها للفستان الرائع الذى ستقابل به هؤلاء النسوة ، ولكن الفتاة ترفض اللقاء بأولاء النسوة ، بإصرار . وتذكر لنا "دوريس" أن عمتها لم تكن تعلم علاقة رفقة بيوسف ، فكانت دوريس فقط هى التى تعلم بكل شىء ، وهو ما تسبب فى فشل العمة فى إقناع العروس " رفقة " حيث تقول :

" דודה דינה הבינה שלא תצליח לשכנע את רבקה , וכבר עמדה לעזוב את החדר . אז נפלו עיניה עלי . ניצוץ ניתז מהן, כאילו גילתה אותי לראשונה .
- בואי דוריס ! התקרבי אלי .
התקרבתי אליה . חיבבתי את דודתי דינה . היא היתה אשת חיל .... " (3)

" فهمت العمة دينا أنها لن تنجح فى إقناع رفقة ، وتأهبت لمغادرة الحجرة . حينئذ وقعت عيناها على. فتطاير منهما شعاع ، وكأنها عثرت على لأول مرة . – تعالى ، دوريس ! اقتربى منى . اقتربت منها . أحببت عمتى دينا . لقد كانت سيدة شجاعة .... "

1- דרוויש ,שלום . פריים פריים !، עמ' 31 .
2- שם , עמ' 31 – 32 .
3– שם ، עמ' 32 .

ويبدو واضحاً أن العمة حين خاب أملها فى إقناع الشابة رفقة لم يكن أمامها سوى مغادرة المكان ،ولكنها عثرت على الفتاة التى ستقبل هذا العريس الثرى ، ولن تبذل معها ما بذلته من مجهود مع أختها الكبرى العنيدة . حيث تكمل لنا دوريس حديث العمة معها ، التى بدأت تراها بعين جديدة ، حيث قالت :

" דודה דינה חיבקה אותי וליטפה את שיערי , אך מיד החלה לחטט בגופי , כאילו הייתי תרנגולת לפני השחיטה . "(1)

" احتضنتنى العمة دينا وداعبت شعرى ، ولكن فى الحال بدأت فى فحص جسدى ، وكأننى دجاجة قبيل الذبح . "

بدأت العمة فى فحص ابنة أخيها الصغرى التى بدأت تظهر عليها علامات الأنوثة ولكن الفتاة الصغيرة لم تكن تفهم ما تفعله العمة . وبعد اتمام العمة فحص ابنة أخيها " دوريس " أخذتها إلى غرفة مجاورة لتكمل معها حديثها ، وبعد أن دخلت كلتاهما الغرفة اتجهت لدوريس قائلة لها :

" בת כמה את , דוריס ? שאלה הדודה .... בת עשר, דודה . "(2)

" سألت العمة : كم عمرك يا دوريس ؟..... عمرى عشر سنوات عمتى . "

راحت العمة تناثر أسألتها على الفتاة الصغيرة ، حيث قالت لها بعد أن سألتها عن عمرها: " את יפהפיה , דוריס . תשגעי את כולם . את כבר בחורה . סבתי התחתנה בת שתים – עשרה , ואת בת עשר . ומה יקרה אם ימתין לו עוד שנה או שנתיים ? הוא חיכה הרבה שנים ...." (3)

أنت جميلة يا دوريس . سوف تذهبى عقل الجميع . لقد اصبحت فتاة . لقد تزوجت جدتى عن عمر اثنى عشر عامًا ، وأنت عمرك عشر . فماذا يحدث إذا انتظرك عامًا أوعامين ؟ لقد انتظر العديد من الأعوام..... "

راحت العمة تمارس ضغطها على الفتاة الصغيرة بترغيبها فى أمر الزواج ، وأنها صارت فتاة ، وأنه لن يحدث شىء إذا انتظرها عام أو عامين حتى الزفاف .

1- דרוויש, שלום . פריים פריים ! ، עמ' 32 .

2- שם , עמ' 32 .

3- שם , עמ' 33 .

وبدأت العمة فى إقناع " دوريس "بعد أن فقدت الأمل فى رفقة ، مستغلة طفولتها البريئة، حيث قالت لها : " את יותר חכמה מרבקה . זוהי הזדמנות שאינה חוזרת . עשיר כזה לא יבוא לכאן יותר , ... מה יש ? גם אני התחתנתי בגיל שתים עשרה ,ולא מתי . נכון , דוריס ? " (1)

" أنت أكثر حكمة من رفقة . وهذه فرصة لن تتكرر. ثرى كهذا لن يأتى إلى هنا كثيرًا .... ما الناتج ؟ أيضًا أنا تزوجت فى سن اثنى عشر عاماً ، ولم أمت .(قالت لها) دوريس أحقًا ؟ "

وهكذا استمرت العمة فى إغراء الفتاة الصغيرة دوريس بالزواج من العريس الثرى ، كما ذكرت لها أنها تزوجت من زوجها فى سن مبكرة ، ولم يحدث لها شىء وهذا ما تسبب بالفعل فى نجاح العمة فى إقناع الطفلة "دوريس " بهذا الزوج الثرى ، حيث ألبستها الثوب الجديد الذى أحضرته لأختها رفقة من أجل هذه المناسبة . حيث جاء على لسان دوريس: " הלבישה לי את שמלתה החדשה של רבקה . השמלה היתה אמנם ארוכה מדי , אך דבר לא עמד בפני סערת התלהבותה. " (2)

" ألبستنى ثوب رفقة الجديد . حقًا إن الثوب كان طويلاً جدًا . ولكن شيئًا لم يقف أمام عاصفة حماسها . "

من خلال هذه الجمل التى تناولت بشىء من التفصيل ما فعلته العمة مع ابنة أخيها الصغرى ، حتى تحل محل رفقة الأخت الكبرى التى رفضت العريس الثرى . ولم تكتف العمة بذلك، بل زينت الطفلة ، حتى أن أختها "مازال " מזל المتزوجة ،لم تعرفها من شدة جمالها : " מזל אחותי נעצה בי מבט בוהה , כשפיה פעור : מה זה ? מה ? מי זו ? דוריס ? יא אללא !! " (3)

" أختى "مازال" رمقتنى بنظرة عجيبة ، منبهرة : ما هذا؟ ماذا ؟ ، من هذه ؟ أدوريس ؟ يا الله ! ! "

1- דרוויש, שלום . פריים פריים !، עמ' 33 .

2- שם , עמ' 33 .

3- שם , עמ' 33 .

بعدها ذهبت العمة إلى أخيها والد الطفلة لتخبره بإقناعها " لدوريس" وليس " رفقة " حيث قالت له " : " אבו –רחמין , אמרה דינה , העיקר שאחת תעזוב את הבית . מה זה משנה אם רבקה או דוריס ? " (1)

" قالت " دينا " ، أبو رحمين ، الأساس أن تترك واحدة البيت ،فهل يختلف إذا كانت رفقة ، أم دوريس ؟ "

وبعد كل ما فعلته العمة "دينا" من زينة للفتاة الصغرى ذهبت إلى الأب لتقنعه بأن يزوج الصغيرة قبل الكبيرة ، لأن الأساس هو أن تتخلص الأسرة من إحدى البنات ولا يهم إذا كانت الصغيرة أم الكبيرة .والسبب فى ذلك هو كثرة البنات فى هذه الأسرة العراقية اليهودية ، فيرد والد دوريس علي أخته قائلاً :

" אבל דוריס היא רק ילדה . ברור , הוא יצטרך להמתין לה קצת.גם בעלי חיכה .אינך זוכר? אני מבטיחה לך,שהוא יסכים לחכות."(2)

"ولكن دوريس مجرد طفلة . واضح أنه سيضطر إلي انتظارها قليلاً .أيضا زوجي أنتظر. ألا تذكر ? أنا أؤكد لك أنه سيوافق علي الانتظار . "

نلمح فى هذه الجمل شعور الأب بشىء من القلق على ابنته الصغيرة التى مازالت طفلة ، ولكن العمة أزالت هذا القلق ، وأبدلته بموافقة من جهة الأب على زواج الصغيرة قبل الأخت الكبيرة التى رفضت . فما كان من الاب إلا ان وافق علي ذلك ، حت لا يخسر هذا العريس الثرى حيث ورد :

" אבא שתק . חייך כמתרצה , והדודה הוציאה אותי מחדרו . "(3)

"صمت أبي . ابتسم كموافق ، وأخرجتني العمة من غرفته ."

وبعد موافقة الأب بدأت العمة فى إقناع دوريس بأنها أصبحت شابة ،وأنه يجب عليها ألا تذهب للعب في الشارع مع الأطفال قالت :

1- דרוויש, שלום . פריים פריים ! , עמ' 34 .

2- שם , עמ' 34 .

3- שם , עמ' 34 .

" דוריס ! מהיום אינך משחקת ברחוב . את כבר בחורה. תתנהגי כמבוגרת . האם מזל או טובה יוצאות לשחק ? אבל דודה ....אין אבל . את תתחתני לפני רפקה ." (1)

"דוריس من اليوم لا تلعبي في الشارع . لقد اصبحت شابة ، فتصرفي كناضجة .

فهل مازال أوتوفا تخرجان للعب ؟ لكن عمتي ! ... لا يوجد لكن . ستتزوجين قبل رفقة."

أقنعت العمة الفتاة الصغيرة بأنها صارت شابة مثل أختها مازال المتزوجة ، وأختها توفا المتزوجة لمجرد أن وافق الأب على استبدال ابنته الكبرى التى رفضت بإبنته الصغرى التى لا تفهم شيء . وبعد أن اتفقت العمة مع الفتاة، أخذتها وذهبت بها إلي أمها ،حتي تحظى بتهنئتها حيث جاء على لسان دوريس :

" דודתי הביאה אותי לאמא , כדי שאזכה בברכתה . כשנכנסנו אליה ,תקף את אמי הלם .היא השמיעה שברי מלים לא מובנים . מי ? מה ? מי ? ...למה ? ... מה זה ?מי זאת ?... דוריס ? אמא החלה שואלת שאלות , ואילו דינה עמדה ללא ניע . " (2)

"أحضرتني عمتي إلي أمي ، حتي أحظى بتهنئتها . وعندما دخلت إليها ،انتاب أمي صدمة . وتحدثت بكلمات مكسرة غير مفهومة .

– من ؟ ماذا ؟ من ؟ .... لماذا .....؟ ما هذا ؟ ... من هذه ؟

أ دوريس ؟ وبدأت أمي تسأل أسئلة ، وأما دينا فتوقفت بلا حراك "

رغم كثرة الشخصيات النسائية فى الرواية التى لم تشارك فى الاحداث ، وذلك مثل شخصية الأم التى جاء دورها مقتصرًا على أفعال معينة أومواقف ثم يترك لنا الكاتب مهمة دلالة ذلك وتأويله ، فى حين جاءت شخصية العمة شخصية مهيمنة على الموقف بأكمله ، حيث بدأت تشرح للأم أن رفقة رفضت ، فأقنعت هي دوريس .فتوجهت الأم بحديثها إلي العمة قائلة : "

- אבל ,דינה . הוא כבר עבר את גיל שלושים !

- אז מה ? אם חיכה עד עכשיו , יכול להמתין עוד שנה או שנתים . אמא פנתה אלי כאילו גילתה אותי רק עכשיו . היא חיבקה אותי ונשקה לי חזק . " (3)

1– דרוויש,שלום . פריים פריים ! , עמ' 34 .

2– שם ، עמ' 35 .

3– שם , עמ' 36 .

"– لكن دينا ، لقد اجتاز سن الثلاثين !

– إذا ماذا ؟ إذا كان قد انتظر حتي الآن ، يستطيع أن ينتظر عامًا او عامين ،ثم اتجهت أمي نحوي . كأنها اكتشفتني الآن فقط . فاحتضنتني وقبلتني بشدة ."

استطاعت العمة أن تحظى على موافقة الأم مثلما حظت من قبل على موافقة الأب ، وتمثلت موافقتها فى أنها احتضنت الفتاة الصغيرة وقبلتها .

ثانيًا:المرأة العراقية اليهودية والخطبة

أ-ذكريات دوريس عن الخطبة :

تتم الخطبة فى كل مكان فى العالم ،وإن اختلفت أشكالها،فنادرًا ما يحدث الزواج فجأة أو بدون تمهيد، وهى عبارة عن طريقة للتعارف بين الشابين المقبلين على الزواج .(1)

ويلاحظ أن أهل العراق يعتمدون فى هذه المرحلة على النساء من أهل العريس حيث تقوم مجموعة من النسوة بزيارة العروس والتعرف على عائلتها (2) وهو ما تم فى الرواية محل الدراسة وهذا يشير إلى تأثر يهود العراق بما يتم فى العراق من مراسم .

وتبدأ مراسم الخطبة ،فى الرواية بقدوم بعض النساء من أهل العريس لرؤية العروس، والتعرف علي عائلتها تقول دوريس : "הנשים הכבדות ישבו על ספה ארוכה באמצע חדר האורחים , ... נדמה היה לי שהן אוכלות אותי בעיניהן . " (3)

"جلست النساء المحترمات علي أريكة طويلة ، وسط غرفة الاستقبال ..... بدا لي أنهن يأكلنني بأعينهن . "

عندما جاء اليوم الموعود الذى حضرت فيه بعض النساء من أهل العريس لرؤية العروس الطفلة، شعرت العروس بأنهن يأكلنها بأعينهن ، وذلك بسبب إمعانهن فى فحصها .

وأعجبت أم العريس بدوريس ، حيث تذكر لنا الطفلة :

" כאשר עמדתי קרוב לאמו הזקנה של בעלי המיועד , היא קראה לי ,חיבקה אותי ונשקה לי. היה זה סימן שאכן בחרה בי להיות לו לכלה . " (4)

1– سناء الخولى(د.) : الزواج والعلاقات الأسرية ، دار المعرفة ، الاسكندرية ، 1979 ، ص166 .

2- إحسان محمد الحسن(د.): العائلة والقرابة والزواج ، مرجع سابق ، ص 59 .

3- דרוויש,שלום .פריים פריים ! , עמ' 37 . 4- שם , עמ' 37 .

" عندما وقفت بالقرب من الأم المسنة لزوجي المنتظر ، نادتني ، واحتضنتنى وقبلتني .

وفى هذا دلالة علي أنها اختارتني لأكون له عروسًا ."

لقد تمثلت موافقة أم العريس على دوريس الطفلة بأنها احتضنتها وقبلتها فهذه علامة على موافقتها على دوريس ، ولذا عمت السعادة المنزل كله نظرًا للموافقة على دوريس ، حيث تحث الشريعة اليهودية على اختيار الزوجة الصالحة العاقلة ، والتى وصفها بأنها من عند الله " ומיהוה אשה משכלת " " الزوجة العاقلة من الله " (1) ثم ينصرف أهل العريس بينما تسرع الطفلة دوريس إلى غرفتها لتخلع ثيابها :

" רצתי לחדרי, הסרתי את השמלה ... ולבשתי את שמלתי הפשוטה והקלה . " (2)

" أسرعت إلى غرفتى ، فخلعت ثوبى ، وارتديت ثوبى البسيط والسهل ."

لقد تصرفت دوريس بطبيعتها ، فبمجرد انصراف أهل العريس أسرعت وتخلصت من الثوب الذى ألبسته لها عمتها لترتدى ثوبها البسيط الذى تستريح فيه . وبعد أن خلعت " دوريس " ثوبها همت بالخروج إلى الساحة للعب مع الأطفال ومشاهدتهم وهم يلعبون حيث إنها كانت لازالت تعيش فى مرحلة الطفولة المتأخرة :

" לאן, דוריס ? לראות את הילדים משחקים . איזה משחק ? אילו ילדים ? מחר האירוסין . אסור שיראו אותך משחקת בחוץ , שמעת ? חזרי מהר לחדרך ."(3)

" إلى أين ، دوريس ؟ أشاهد الأطفال وهم يلعبون . أى لعبة ؟ وأى أطفال ؟غدًا الخطبة ، ممنوع أن يروك تلعبين بالخارج ، هل سمعت ؟ عودى مسرعة إلى غرفتك . "

تعكس هذه الجمل الاستفهامية والتى صاغها الكاتب على لسان العمة كاستنكار لما تفعله دوريس ، التى تريد أن تلعب مثل بقية الأطفال فى حين أن أسرتها تريد منها أن تعيش كفتاة شابة على وشك اتمام خطبتها . وذلك لأنه بعد الخطبة بفترة ما سيتم الزواج فلابد من فترة فاصلة بين الحدثين قصرت أم طالت(4) وهو ما يشير إلى سعى الاسرة إلى حرمانها

1- سفر الأمثال (19/ 14)

2- דרוויש, שלום . פריים פריים !, עמ' 37 -38 . 3- שם ، עמ' 38 .

4- للمزيد عن الخطبة انظر :

- محمد سبعاوى محمد (د.) : الزواج فى الشريعتين اليهودية والاسلامية ،مرجع سابق ، ص 43 .

من طفولتها ، من أجل الزواج من عريس ثرى . ولكن كل هذا الكبت لهذه الطفلة الصغيرة ، جعلها دائمًا خائفة شاردة (1)لا تعرف ما هو الشيء الحقيقى ، والشيء الكاذب فيما مرت به ، لذلك اقترحت العمة أن تخرج للعب مع الأطفال حتى تستعيد نشاطها وحيويتها ، حيث قالت العمة :

" אני חושבת , שהיא מתגעגעת למשחקי הילדים . כלאנו אותה בתוך הבית . תנו לה לנשום אוויר ולשחק עם הילדים . ... "(2)

" أنا أعتقد أنها تشتاق إلى ألعاب الأطفال . سجناها داخل البيت . اسمحوا لها بأن تتنفس الصعداء ، وتلعب مع الأطفال ..... "

استطاعت العمة أن تفهم السبب فى مرض دوريس ، وهو حرمانها من طفولتها ، وحبسها فى المنزل دون أن تعيش طفولتها كبقية الأطفال . ثم قالت لدوريس :

" לכי למגרש ושחקי עם חברייך .הינה דוד עומד בפתח ומביט אלינו בתחנונים . לכי אליו , ילד חמוד שכזה . בוא דוד , היכנס ..... קומי לכי ושחקי עם דוד ברחבה. יאללה! "(3)

" اذهبى إلى الساحة والعبى مع أصدقائك . ها هو ديفيد يقف على الباب وينظر إلينا متوسلاً . اذهبى إليه ، طفل لطيف كهذا . تعال يا ديفيد ، أدخل ....قومى اذهبى والعبى مع ديفيد فى الساحة . يالا ! "

بتتبع ما قالته العمة فى هذا الحوار السردى يتضح لنا مدى اهتمام العمة بأن تخفف عن دوريس ما تمر به ، حتى أنها أمرتها بالذهاب للعب مع الأطفال فى الساحة .

ولم ينتظر الطفل حتى تخرج دوريس ، بل أسرع بجذبها نحو الساحة ، ولكن الطفلة عادت مسرعة مرة أخرى إلى البيت ، لكى تحضر الحلوى للأطفال ، وانتظرها ديفيد بالخارج .

---

1 - عن الأمراض النفسية التى تصيب الانسان

انظر، نيفين مصطفى زيور(د.): الإضطرابات النفسية عند الطفل والمراهق ، مكتبة الانجلوالمصرية ، القاهرة ،1998، ص 227 – 228 .

2- דרוויש ,שלום . פריים פריים !, עמ' 41 .

3- שם , עמ' 41 .

تقول دوريس : " דוד חיכה לי .ואילו במגרש כל הילדים חיכו לדוד , הם רצו להתחיל במשחקים . הממתיקים שימחו אותם מאד. הם אכלו ונהנו . רק ילד אחד שאל : " מה פתאום מחלקים לנו ממתקים ?"

דוד השיב בקול חנוק : דוריס התארסה .אתם לא יודעים ? בואו נשחק ? "(1)

" انتظرنى ديفيد .بينما كل الأطفال انتظروا ديفيد فى الساحة ، أرادوا أن يبدأوا فى لعبتهم. أسعدتهم جدًا الحلوى . أكلوا وتمتعوا ، إلا أن طفلاً واحداً سأل :" لماذا فجأة توزعون علينا الحلوى ؟ " فأجابه دافيد بصوت مخنوق : لقد خطبت دوريس . ألا تعرفون ؟ هيا نلعب . " وبدأوا يلعبون ألعاب الصبية المعروفة مثل لعبة " بلبل حاح " (2)

نلاحظ فى هذا الاستشهاد مدى ارتباط الأطفال بدوريس وخصوصًا ديفيد الذى استمر فى انتظاره لدوريس عند الباب حتى تحضر الحلوى للأطفال الذين سألوا عن سبب هذه الحلوى ، ثم استمروا بعد ذلك فى اللعب بألعاب الصبية المشهورة بالعراق .

حيث ورد : " כרגיל הם שיחקו ב" בולבול-חאח" . כאשר החזיק דוד במקל הקטן ועמד לשים אותו בתוך הגומה ... "(3)

" كالعادة لعبوا " بلبل حاح " . وعندما أمسك ديفيد بالعصى الصغيرة ، واستعد لوضعها داخل الحفرة ، ....."

وحين تذكرت الطفلة حديث أختها عن الزواج ، خافت وأصابتها رعشة ، ووقعت مغشيًا عليها ، تتذكر دوريس :

1- דרוויש, שלום . פריים פריים !, עמ' 42 .

2 – من ألعاب الصبية فى العراق لعبة " العودة والبلبل " وكذلك تسمى فى بعض المناطق ببغداد مثل محلة الخلانى والعوينة وبنى سعيد " ببلبل وشتطة " . وفى الكاظمية تسمى "الكلكة واللاك " ، وفى سمراء "حاح" ، وفى البصرة "صكلة ولاك " ، والاك فى العامية العصا ، أما الصلكة فهى عود صغير فوق طول الأصبع تحفر له حفرة فى الأرض ، فيركز على طرفها أو يوضع على حجرة صغيرةثم يضرب طرفه الأعلى من محله فيبادره اللاعب بضربة أخرى وهو فى الهواء فيترامى بعيدًا.

- مهدى حمودى الأنصارى : ألعاب الصبية العراقيين ،جريدة المدى.15/ 1/ 2011 .

http: // WWW .almadapaper.net\sub\08-756\p16.htm

3- דרוויש,שלום . פריים פריים !، עמ' 42 .

"התחלתי לרעוד , הרגשתי קור בגופי ,רגלי לא נשאו אותי, ונפלתי ארצה מעולפת למחצה . ראה זאת דוד ,הפסיק את המשחק ובא אלי . הוא עזר לי לקום , והוליך אותי הביתה ..."(1)

" بدأت أرتعش ، وشعرت ببرد فى جسدى ، لم تحملانى قدماى ، وسقطت على الأرض فاقدة الوعى قليلاً . شاهد ذلك ديفيد ، أوقف اللعبة وجاء إلى . ساعدنى فى القيام ، وأعادنى إلى البيت ....."

تعكس هذه الجمل الحالة النفسية السيئة التى أصابت دوريس من حديث أختها ، وهو ما تسبب فى فقدانها الوعى . وعندما شاهد أهل دوريس منظرها وهى مغشى عليها ، قلقوا بشدة ،وكان القلق الأعظم هو قلق أختها رفقة ،التى شعرت أنها السبب فيما حدث لأختها:

" מכולם אני זוכרת רק את אחותי רבקה אשר נכלאה בחדרה מאז שמרדה בהורים . היא חשה אשמה כלפי ,כאילו היא שגרמה לי את הזעזוע .אני זוכרת איך נשקה לי והרטיבה את לחיי בדמעותיה :" מה עוללתי לך , דוריס! "(2)

" اذكر من بين الجميع فقط أختى رفقة التى حبست فى غرفتها منذ عصت والدى . أحست بالذنب نحوى ، كأنها هى التى تسببت لى فى الصدمة . أذكر كيف قبلتنى ، وبللت وجنتى بدموعها .(وقالت) : ماذا فعلت بك ، يا دوريس ! "

نلاحظ من هذا الاستشهاد مدى إحساس رفقة بالذنب لما حدث لأختها دوريس وذلك لأنها رفضت العريس الثرى ، ففرضته العائلة على دوريس الأخت الصغرى . وبعد ما حدث لدوريس ، تم استدعاء الطبيب الذى ذكر أن سبب كل ذلك هو احتياج " دوريس " للتغذية والأكل الكثير ، وترك لها بعض الفيتامينات التى تحتاجها .

" הרופא השאיר לי כדורי ויטמינים , ואני ,שרציתי מאד לקום ולצאת מהבית ,בלעתי את מנות הכדורים , ואכלתי את האוכל הרב שהגישו לי ."(3)

" ترك لى الطبيب حبوب فيتامينات ، وأنا ، التى أردت أن أنهض ،وأخرج من البيت ، بلعت الجرعات من الحبوب ، وأكلت الطعام الكثير الذى قدموه لى ."

---

1 - דרוויש ,שלום . פריים פריים !، עמ' 42 .

2- שם , עמ' 42 .

3- שם ، עמ'43 .

هذا الحديث الداخلى المسرود يبين لنا رغبة دوريس الشديدة فى أن تقوم وتمارس حياتها التى حرمت منها بسبب مرضها .

وتكمل دوريس ذكرياتها عن مراسم الخطبة ، جاء على لسانها :

" בערב שנקבע לאירוסי ,הופיע בביתנו גבר שזקנו ארוך .אמרו ששמו חכם שמעון, ושהוא עורך נישואין .הוא שלף מכיסו פנקס קטן ורשם על אודותי פרטים שסיפרו לו הורי . כל זמן שכתב ,לא הסיר עינו ממני, כמו שאינו מאמין שילדה זו היא הכלה. בת כמה היא ? כמעט עשר . מה זה "כמעט " ? זאת אומרת בעוד חודשים אחדים .- גמגם אבא . אז תגיד בת תשע .אין דבר. אין הגבלה בגיל . מותר להשיא בכל גיל . הורי הביטו זה בפני זה והנידו ראש . "(1)

" فى المساء الذى حددت فيه الخطبة ، ظهر فى بيتنا رجل ذو ذقن طويل . قالوا اسمه الحاخام شمعون ، وأنه سيعقد الزواج . أخرج من جيبه دفترًا صغيرًا ، وكتب عنى تفاصيل قالها له والدى . وطوال وقت الكتابة ، لم يرفع عينه عنى ، كأنه لا يصدق أن هذه الطفلة هى العروس . وسأل : كم عمرها ؟

– تقريبًا عشرة . لماذا تقريبًا ؟ فتمتم أبى ، يعنى هذا أنه بعد شهور معدودة .

إذن تقول تسع سنوات . لا باس . فلا تحديد للسن . مسموح بالزواج فى كل عمر .

نظر والدى والحاخام كل منهما إلى الآخر ، وهزا رأسيهما ."

بتتبع ما ذكرته لنا دوريس عن مراسم الخطبة ، يتضح لنا مدى اهتمام الكاتب بذكر التفاصيل الدقيقة التى تتم فى الزواج . حيث تحث الشريعة اليهودية على الزواج ، وعقد الزواج فى الشريعة اليهودية فرض على كل يهودى ، وقابل للانحلال والتعدد، أما شروط عقد الزواج فهى : الرضا ، المهر، والشكل الدينى ، أى يعقد بحضور حاخام ، وعدم وجود موانع للزواج . والمهر يقبضه والد العروس ، ويتصرف به بلا قيد أوشرط ، وتدوم ولائم الزفاف لمدة أسبوع ، ويكثر فيها الرقص والغناء والطعام والشراب .(2)

1- דרוויש, שלום . פריים פריים !، עמ' 44 .

2- محمد سبعاوى محمد (د.) : الزواج فى الشريعتين اليهودية والاسلامية ،مرجع سابق ، ص 178 .

- باسل يوسف النيرب : المرأة فى إسرائيل ، ط 1 ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، 2006 ، ص 78 .

للمزيد عن الزواج فى الشريعة اليهودية انظر :

האנציקלופדיה העברית , נשואים , כרך 25 , עמ' 377- 382 .

وبعد أن أتم الحاخام مراسم عقد الزواج ، طلب من الأم إحضار زجاجة من النبيذ وكأس ، وذكر أنه سيذهب بعد ذلك إلى منزل العريس لكى يتمم المراسم ، فأعطاه الأب مبلغًا من المال وانصرف ، ووسط كل ذلك تذكر لنا دوريس أنها لم تكن تعلم ما يحدث من حولها حيث تقول : "לא הבנתי מה קורה סביבי ."(1) " لم أفهم مايدور من حولى ."

وكان السبب فى كل ذلك صغر سن دوريس ، ثم تكمل ذكرياتها عن المراسم التى تلت عقد الزواج ، حيث تقول :

" הלבישה לי אותה שמלה ארוכה שנועדה לרבקה . שוב נראית כגמדה מגונדרת , מצחיקה שכזו. דינה החזיקה אותי בידה, ונגררתי אחריה עד לחדר האורחים ,שם השאירה אותי עומדת במרכז . מיד התאספו סביבי כל בני הבית ..."(2)

" ألبستنى ذات الفستان الطويل الذى أعد لرفقة . ومرة أخرى ظهرت كقزم متبرجة ، مضحكة . أمسكتنى دينا بيدها ، وانسقت وراءها حتى غرفة الاستقبال ، هناك تركتنى واقفة فى المنتصف . وفى الحال تجمع حولى جميع أهل البيت..."

وعندما جاء يوم الخطبة ، تحدثت البطلة عن الفستان الذى ألبسته لها عمتها حيث كان طويلاً ،وظهرت فيه دوريس مثل القزم، كما تركتها عمتها بمفردها وسط غرفة الاستقبال.

ولقد استخدم الكاتب هنا وزن הפעיל مثل הלבישה – החזיקה – השאירה والذى من أهم استخداماته التسبب فى الفعل ، أى إن شخصًا ما تسبب للآخر فى أن يعمل فعلاً معينًا أو يتوصل لوضع معين (3) وهو ما تسببت فيه العمة لدوريس .

كما تذكر دوريس أن أخواتها المتزوجات ظهرن بصحبة أزواجهن وهن متبرجات ،كما قمن بتقديم الحلوى ، وكذلك قالت أنها انتظرت كثيرًا حتى يأتى العريس ، وخلال كل ذلك حضرت الخاطبة أم ساسون وهى تزغرد :

" נכנסה אום-ששון ,כשהיא מגלגלת בלשונה וקוראת לנשים להצטרף... כולן הצטרפו והוסיפו והרבו רעש .." (4)

---

1 – דרוויש, שלום . פריים פריים !، עמ'44 . 2 - שם , עמ' 45 .

3– בלאו ,יהושע. דקדוק עברי שיטתי , חלק א, ה' המכון להשכלה , ירושלים ,1975 , עמ' 56 .

4– דרוויש ,שלום . פריים פריים ! , עמ' 46.

" دخلت أم ساسون وهى تزغرد وطلبت من النساء الانضمام إليها ...، الجميع انضموا فزادوا الضوضاء .."

وأثناء ذلك دخل العريس : " בתוך ההמולה שהקימה אום-ששון , נכנס המיועד להיות הארוס שלי . יחד איתו נכנס גברים רבים . לאחר מכן , נודע לי שהיו אלה אחיו ודודיו . כמוהו היו כולם גברתנים בעלי גוף . לארוסי היה גוף מגושם . הוא נראה לי עצום . חשתי כאילו אני זבוב לעומתו ." (1)

" وسط الجلبة التى أحدثتها أم ساسون ، دخل العريس المنتظر .ودخل معه رجال كثيرون بعد ذلك ، عرفت أنهم كانوا إخوته وأعمامه . جميعهم مثل الجبابرة ذوو أجساد . كان لعريسى جسد بدين . بدا لى ضخمًا . أحسست بأننى ذبابة أمامه . "

يتضح من سرد البطلة الذى اهتم بإظهار التفاصيل الدقيقة ، والتى جعلت القارىء يشعر بأنه مشارك فى هذه الأحداث ،ومن خلال وصفها يبدو إحساسها بالخوف وعدم الاستقرار من هذا العريس ، الذى وصفته بضخامة الجسد ، وأنها مثل الذبابة أمامه .

وبعد أن رأت دوريس هذا المشهد لم يكن منها إلا أن تركت المكان ، وذهبت لتبكى ، فاكتشفت العمة غياب العروس ، فذهبت للبحث عنها :

"דוריס ! למה את מסתתרת ? זהו יום שמחתך . וכולם רוצים לראות אותך .-אמרה בקול רך.- יהודה ,ארוסך ,הביא לך מתנה יקרה מאוד, ...דוריס קומי,צאי, בואי איתי לאמבטיה ..." (2)

دوريس ! لماذا تختبئين ؟ إنه يوم فرحتك . والجميع يريد رؤيتك . ثم قالت بصوت رقيق – يهودا عريسك أحضر لك هدية ثمينة جدًا ... دوريس . قومى ، أخرجى ، تعالى معى إلى الحمام ....."

جاء هذا المشهد استكمالاً للمشهد السابق فبعد أن أحست دوريس بالخوف وأنها ضعيفة جدًا أمام هذا العريس لم يكن أمامها سوى مغادرة المكان لتختبىء ، ولكن العمة لحقت بها وأخذتها إلى الحمام . وعدلت لها زينتها ثم أعادتها إلى مكانها :

1- דרוויש, שלום . פריים פריים ! , עמ' 46 .

2- שם , עמ' 46 -47 .

" חזרתי לחדר השמחה ועמדתי ליד יהודה, שישב באותה כורסה מגושמת . הוא התקשה להיכנס לתוכה וברור היה שאינו יושב בנוח . היו פנים עדינות שלא דחו אותי . עמדתי מושפלת עיניים לידו . "(1)

" عدت إلى غرفة الفرح ، ووقفت بجوار يهودا ، الذى جلس فى ذلك المقعد الضخم . والذى استحال أن يدخل فيه ، واضح أنه لم يكن جالسًا فى راحة . كان ذا وجه لطيف، لم يغب عنى . جلست منخفضة العينين إلى جواره . "

بعد أن أخذت العمة إبنة أخيها إلى الحمام أعادتها إلى غرفة الفرح ، بدأت دوريس تتفحص عريسها الضخم رغم أنها أشارت إلى أنها كانت منخفضة العينين إلى جواره بسبب خجلها، وهو ما يشير إلى قوة ملاحظة دوريس ، فالمعروف أن سيكولوجية المرأة تأثر على تصرفاتها (2) .

وبعد ذلك دخل الحاخام يهودا ،وطلب منه أن ينتظر بعض الوقت لأن العروس مازالت طفلة فهى بنت تسع سنوات فقط . ولذا فعليه أن ينتظرها حتى تمام البلوغ ، فطبقًا لأحكام التلمود يصبح الشاب مؤهلاً للزواج بعد بلوغ الثالثة عشر سنة ويوم واحد و الفتاة بعد بلوغ الثانية عشرة سنة ونصف ويوم واحد (3) فتدخل أحد أقارب يهودا ، وسأل الحاخام إلى متى سوف ينتظرها :

" עד מתי יחכה ? והרי הוא כבר בן שלושים וחמש . "(4)

" إلى متى سينتظر ؟ وقد بلغ من العمر خمسة وثلاثين عامًا . "

فنظر الحاخام إلى هذا السائل بعينين سمحتين ، ثم قال :

" הלוא ידוע שהכלה היא אך ילדה בת תשע , אסור ! " (5)

" أليس من المعروف أن العروس هي طفلة عمرها تسع سنوات ، ممنوع ! "

من هذا الحديث الذى دار بين أحد أقارب يهودا والحاخام يلاحظ مدى حرص الحاخام على

1- דרוויש ,שלום . פריים פריים ! ، עמ' 47 .

2- האנציקלופדיה העברית , אשה , כרך 7 , עמ' 345 .

3- محمد سبعاوى محمد (د.) : الزواج فى الشريعتين اليهودية والاسلامية ،مرجع سابق ، ص 46 .

4- דרוויש, שלום . פריים פריים ! , עמ' 47 .

5- שם , עמ' 47 .

العروس الطفلة والتى يجب أن ينتظرها العريس لعدة سنوات . وبسبب صغر سن العروس سرعان ما شعرت بالتعب من هذا المشهد ، فهي لا تحتمل كل هذه المراسم ، وتطلب من عمتها ان تذهب للنوم حيث قالت :

" אמרתי לה , שאני רוצה לישון ." (1)

" قلت لها , أنني أريد أن أنام ."

وحين شعرت الطفلة بالتعب نادت على عمتها لتقول لها أنها تريد الذهاب للنوم . وعندما ذهبت إلي مخدعها ، سألت عمتها عن معني ما قاله الحاخام من أن ينتظرها العريس حتي تبلغ ، فشرحت لها العمة معني ذلك وقالت لها أنه يجب عليها أن تعلم أن ذلك طبيعة بشرية لكل الإناث ، وفي النهاية خافت عليها العمة من كثرة ما عرفته في تلك الليلة ، فهي في النهاية ما زالت طفلة ، ولا تعلم شيئًا لذا قالت لها اذهبي للنوم، وانسي كل شيء :

" עכשיו , לכי לישון ושכחי מכל זה. את ילדה . אבל עוד תגדלי ,ותהיי נערה ואישה כמו כולן . לכי לישון ,בובה ! נשקה לי ומיהרה לצאת ."(2)

" الآن ، اذهبي للنوم ، وانسي كل هذا . فأنت طفلة ، لكن ستكبرين ، وتصبحين فتاة ، وامرأة مثلنا جميعاً ، اذهبي للنوم دميتي ! قبلتني وأسرعت بالخروج ."

يبدو واضحًا حب العمة لإبنة أخيها ، وخوفها عليها من هذه التجربة ولذا نصحتها بالذهاب للنوم ، وتناسى ما حدث فى تلك الليلة .

وبعد خروج العمة لم تتمكن الفتاة الصغيرة من النوم،(3) بسبب كل ما قالته لها أختاها المتزوجتان وعمتها حتي أنها ظلت مستيقظة طوال الليل، تقول :

" הייתי עייפה עד מוות , אך לא הצלחתי להירדם ...."(4)

" كنت متعبة لدرجة الموت ، ولكنني لم أنجح في النوم ..... "

هذا الحديث الداخلى يكشف للقارىء مدى الحيرة التى تستبد بنفسيه البطلة الصغيرة حتى

1- דרוויש ,שלום . פריים פריים ! , עמ' 48 .

2- שם , עמ' 48 .

3-- يأتى الاكتئاب كسبب انفعالى للأرق فى المرتبة الأولى .والمكتئب يشق عليه أن يبدأ النوم ويظل يقظًا. وإذا نام يصحو مبكرًا .

للمزيد انظر، عبد المنعم الحفنى(د.):موسوعة الطب النفسى ،ط4 ،مكتبة مدبولى،القاهرة ،2003،ص181.

4- דרוויש, שלום .פריים פריים !، עמ' 48 .

أنها لم تستطع النوم . وبعد إتمام مراسم عقد الزواج كان يأتي لزيارة الفتاة وعائلتها ، أشخاص كثيرون ، حيث يسألون عن الفتاة ، كم عمرها ؟ ، وهل بلغت ؟ ، وكم سينتظرها العريس ؟، ولكن دوريس لم تفهم كل هذه الأسئلة ، حتي أنها قالت عن تلك الأسئلة التى توجه لعائلتها فى حضورها : " שאלות ישירות וחצופות נשאלו בנוכחותי . חלק מהן לא הבנתי . הקשבתי היטב , כי רציתי להבין ."(1)

" أسئلة مباشرة ووقحة سئلت فى وجودى . جزء منها لم أفهمه . اصغيت جيدًا ، لأننى أردت أن أفهم . "

لقد تناثرت العديد من الأسئلة حول دوريس وعمرها وكم سينتظرها العريس ، وكان ذلك فى وجود دوريس التى أصغت جيدًا لتلك الأسئلة فى محاولة لفهمها ولكنها فشلت فى ذلك.

وعن ما يتم بعد إجراء مراسم عقد الزواج ، تذكر لنا دوريس أن اليوم التالى للخطبة ، يحضر فيه أقارب العريس ، ومعهم مختلف الهدايا :

" למוחרת , יום האירוסין , באו גברים אחדים שנשאו על ראשיהם מגשים גדולים מאוד , מלאים ממתקים ... יחד איתם באה אום-ששון .היא התישבה ליד אמי , והן התלחשו שעה ארוכה ." (2)

" وفى غداة ، يوم الخطبة ، جاء أشخاص معدودون، حملوا فوق رؤوسهم صوانى كبيرة جدًا ، مملوءة بالحلوى .... جاءت معهم أم ساسون . التى جلست بجوار أمى ، وتهامستا لوقت طويل . "

تحدثنا دوريس بطلة الرواية عما يتم بعد الخطبة من قدوم لأهل العريس ، وأقاربه ، ومباركة العروس ، كما يقوم العريس وأهله بتقديم الهدايا للعروس ، حيث عرف اليهود أنواعًا مختلفة من الهدايا منذ زمن العهد القديم(3)

1- דרוויש ,שלום . פריים פריים !، עמ' 49 .

2- שם ، עמ' 49 .

3- للمزيد عن الهدايا التى يقدمها العريس للعروس راجع :

- سوزان السعيد يوسف (د.): المرأة فى الشريعة اليهودية حقوقها وواجباتها ، مرجع سابق ، ص 82-83 .

وبعدها مباشرة تحدثت أم ساسون مع دوريس عن أمور البلوغ ، وأنها عندما تصل إلى هذا السن يجب أن تخبر أمها ، والتى بالطبع سوف تخبرها ، لتسرع هى بإخبار أهل زوجها، وأوصتها بالأكل الجيد . (1)

ب-العلاقات الأسرية بين العائلتين بعد الخطبة :-

بعد أن تمت الخطبة ، ومراسم عقد الزواج ، زارت أسرة العريس أسرة دوريس ، وأحيانًا كان يحضر معهم العريس ، حيث قام بدعوتهم ذات مرة فى قصره ، وبالطبع وافقت الأسرة ، وبدأت أسرة دوريس الاستعداد لهذه الزيارة ، حيث تذكر لنا :

"כל השבוע התכוננו לחגיגה . בחרנו בגדים , ודיברנו על מוזמנים . הוסכם שיגיעו עשרים איש . אום-ששון התערבה .יש לו ארמון ,ממש ארמון. יש שם מקום למאה איש . אני הייתי שם ואני יודעת על מה אני שחה. דודה דינה לא הסכימה ." (2)

" طوال الأسبوع استعدينا للاحتفال . اخترنا الثياب ، وتحدثنا عن المدعوين . اتفقنا أن يصل عددهم إلى عشرين شخصًا . تدخلت أم ساسون قائلة : لديه قصر ، بالفعل قصر . هناك مكان لمائة شخص . لقد كنت هناك ، وأنا أعى ما أقول . لم توافق عمتى دينا . "

احتل الوصف مكانة مرموقة فى الحديث عن استعداد أهل العروس لزيارة أهل العريس فى القصر ، حيث تم اختيار الملابس ، وتم تحديد للمدعوين . ورفضت العمة أن يتم دعوة عدد كبير ، لأن هذا سيكون أمرًا غير مستحب ، وبالفعل تم اختيار عدد محدود من عائلة العروس ، فكان من العادات المتبعة لدى اليهود أنه بعد الاتفاق على الخطبة ، وموافقة الطرفين ، تقام وليمة يدعى إليها الأقارب والأصدقاء (3) وتحكى لنا دوريس عن القصر فتقول :

" כשנכנסנו לחדר האורחים שרהיטיו היו מפוארים , הכל נראה בעיני שונה מכל מה שראיתי מימי . באולם הגדול ישבו בני משפחתו של ארוסי :אמו ,אחיותיו עם בעליהן , אחיו ונשותיהם , חבריו של יהודה ואנשי שלומו . "(4)

---

1 -عن بلوغ الفتاة . انظر, דרוויש, שלום . פריים פריים !، עמ' 50 .

2- שם ، עמ' 50 – 51 .

3- سوزان السعيد يوسف (د.): المرأة فى الشريعة اليهودية حقوقها وواجباتها ، مرجع سابق ، ص 83 .

4- דרוויש, שלום . פריים פריים !, עמ' 51 .

" عندما دخلنا إلى غرفة الاستقبال التى كان أثاثها فاخرًا ، كل شىء بدا فى عينى مختلفًا عما رأيت فى حياتى . وفى الصالة الكبيرة جلس أبناء عائلة عريسى . أمه وأخواته وأزواجهن و إخوته وزوجاتهم ، وأصدقاء يهودا المقربين إليه . "

من هذا الحديث للبطلة دوريس يتضح لنا المكانة العالية لهذه العائلة الثرية ، حيث بدا كل شىء مختلفًا فى عينى دوريس . وبعد أن عادت عائلة دوريس من الزيارة ، بدأت تمارس حياتها منتظرة بلوغ الفتاة ، وأثناء ذلك كانت الطفلة تخرج من وقت لآخر من أجل اللعب مع الأطفال ، وكانت تساعدها عمتها فى ذلك ، حيث كانت دوريس تقول لها :

" דודה ! אני מתה לראות את הילדים משחקים במגרש. מותר ?

- מובן ילדתי המסכנה . מותר ועוד אין מותר. צאי , ואם תרצי להשתתף במשחק , עשי זאת ,אולם אל תתעלפי . " (1)

" عمتى ! إننى أتوق لرؤية الأطفال يلعبون فى الساحة . فهل مسموح ؟

– مفهوم ، طفلتى المسكينة . مسموح ، وغيرمسموح . أخرجى وإذا أردت الإشتراك فى لعبة ، افعلى ذلك . ولكن لا تتعبى . "

مع وطأة إحساس الطفلة بالوحدة تبدأ فى الإلحاح على عمتها من أجل مشاهدة الأطفال واللعب معهم فى الساحة ، ولقد أفسح شالوم درويش المجال لشخصية العمة ، التى أخذت مكان شخصية الأم التى جاء دورها مقصورًا على أشياء قليلة .

ثالثاً : مشاكل المرأة العراقية اليهودية قبل الزواج :

أ- مرحلة المراهقة (2) والبلوغ :-

أسرف الكاتب فى حديثه عن انتظار أهل العروس لبلوغها ، وذلك رغبة منهم فى إتمام الزواج ، فلم يكن من الممكن أن يتم الزواج قبل بلوغ الطفلة " دوريس " (3)

1- דרוויש, שלום . פריים פריים !، עמ' 57 .

2- هى مرحلة من النمو تفصل الطفولة عن البلوغ ، ويصاحبها تغيرات فى السلوك والمظهر .
انظر، – روبرت واطسون وهنرى كلاى : سيكولوجية الطفل والمراهق ، ص 575 .

3- דרוויש ,שלום . פריים פריים !, עמ' 58 : 61 .

وعندما علمت أم ساسون بهذا الأمر كانت فى غاية السعادة ، وقررت الذهاب لتبشر عائلة يهودا ، تقول دوريس :

" לא היה קץ לשמחתה של אום-ששון . ..אלך לבשר לו . מזל טוב לכולנו ."(1)

" لم يكن هناك حدود لسعادة أم ساسون ..... أذهب لأبشره . حظ سعيد لنا جميعًا ."

يوضح هذا الاستشهاد السعادة البالغة للخاطبة أم ساسون حين علمت ببلوغ الفتاة (2) حيث إنها ذهبت لتبشر العريس حتى تحصل على مقابل لبشارتها . فكان هذا علامة ودليلاً على انها نضجت للزواج .وبدأ الجميع يتحدثون عن مكان الزفاف، وزمانه وكيفيته ، تحدثوا عن ليلة الحناء ، وعن خيمة العروسين ، وليلة الصباحية . وبعدها ، بدأت الأسرة تفكر فى تأخير الزواج إلى ما بعد إتمام البنت لثلاثةعشرعامًا، حتى تنضج الفتاة جيدًا ، وأصروا على ذلك .

تذكر لنا دوريس : " הורי עמדו על כך שהחתונה תתקיים לאחר שימלאו לי שלוש עשרה , ועל כך הם חזרו והתווכחו עם אום-ששון . ויכוחים אלה התפתחו לכדי ריב. הוא הבטיח בשבועה שלא ייגע בה .רק שתהיה לידו במיטה .

- לא ייגע ? ומי מאמין ? .... ילמד ,יחנך אותה לטעמו .ויפנק אותה כפי שלא פינק גבר אישה מעולם ." (3)

" أصر والدى على أن يتم الزواج بعد أن أكمل ثلاثة عشر عامًا ، ولذا عادوا وتناقشوا مع أم ساسون . وهذا النقاش انفتح من أجل الجدال . فأكد حالفًا ألا يلمسها . فقط ستكون بجواره فى الفراش . ألن يلمسها ؟ ومن يصدق ؟ .....

– يعلمها ، ويربيها على طبعه ، ويدللها أكثر من أى رجل دلل امرأة بالمرة ."

يتضح من هذا الاستشهاد مدى خوف والدى دوريس عليها من الزواج المبكر ، ولكن العريس أراد أن يطمئن الوالدين على الفتاة فأكد أنه لن يلمسها . ولكن والد دوريس لم يصدق مثل هذا الحديث ، وقال أنه لن يحدث هذا مطلقًا ، فهو ليس ملاكًا من السماء ، بل هو بشر ، مثله مثل أى رجل فى العالم .(4)

1– דרוויש, שלום . פריים פריים !, עמ' 60 – 61 .

2– האנציקלופדיה העברית , אשה , כרך 7 , עמ' 345 -346 .

3- דרוויש ,שלום . פריים פריים !، עמ' 64 . 4– שם , עמ' 64 .

وبدأت محاولات العمة من جديد ، حيث سألت "دوريس " عن عمرها ، فأجابتها الفتاة إحدى عشرة سنة ونصف ، لذا اقترحت العمة أن ينتظرها لمدة عام آخر فقط ، حتى لا يحدث مكروه ، فتتزوج حين يصير عمرها اثنتى عشرة سنة .(1)

وبالفعل وافقت أسرة يهودا ،ويهودا على الانتظار لمدة عام ، بعد أن بلغت الفتاة ، حيث ذكرت دوريس : " יהודה התרצה להמתין לי עוד שנה . "(2)

" ارتضى يهودا أن ينتظرنى لمدة عام آخر. "

وفرحت دوريس لأنها لن تزف إلى يهودا الآن ، بل ستظل لمدة عام آخر فى منزل عائلتها حيث تلعب مع الأطفال فى الحى ، وخصوصًا ديفيد .(3)

خلال هذه الفترة بدأت " دوريس " تسأل عمتها عن ليلة الحناء ،وما سيحدث فيها ، فقالت لعمتها : " דודה דינה . מה עושים בליל –ה"חינה" ? עושים ? צובעים ומקשטים את כף ידך בצבע ה"חינה". בשביל מה זה טוב,דודה?

גם אני אינני יודעת . ככה נוהגים מדורי דורות, ואנו חייבים להמשיך."(4)

" عمتى دينا . ماذا يفعلون فى " ليلة الحناء " . ماذا يفعلون ؟

يلونون، ويزينون كف يدك بصبغة الحناء . ولماذا يكون هذا جيدًا ياعمتى ؟

أنا لا أعرف أيضًا . فهم يتصرفون هكذا منذ القديم ويجب أن نستمر . "

من هذه الأسئلة التى طرحتها الفتاة على عمتها يتضح لنا صغر سن العروس والتى لا تعرف ما يتم من مراسم فى ليلة الحناء من تلوين للكفين بالحناء .

وكذلك سألتها عن " ليلة الصباحية " حيث أجابت العمة :

" בליל-ה"סובחיי" שבו הוא מזמין את כולנו . בלילה זה מתקבלות גם המתנות מהקרובים ומהידידים. ומה עוד, דודה ? מה עוד? מה אגיד לך, דוריס ! "(5)

1– للمزيد انظر : דרוויש, שלום .פריים פריים !، עמ' 65 .

2- שם ، עמ' 65.

3- انظر ، דרוויש, שלום . פריים פריים !، עמ' 65.

4- שם , עמ' 65 -66 .

5 – שם , עמ' 66 .

فى ليلة الصباحية يدعونا جميعًا .وفى هذه الليلة تقدم إليكم الهدايا من الأقارب والأصدقاء .
وماذا أيضًا ، عمتى ؟ ماذا أيضًا ؟ بماذا أخبرك ، دوريس ؟ "
حين توجهت الفتاة لعمتها بسؤال حول الصباحية وما يحدث فيها من مراسم ، أجابتها عمتها بأن ليلة الصباحية يتم فيها تقديم الهدايا من قبل الأقارب ، ثم طلبت من دوريس أن تترك كل شىء إلى وقته ، وأنها سوف تشرح لها كل شىء ، فى وقته المحدد .
وفى نهاية الحديث بين دوريس والعمة ، شكرت دوريس عمتها ، حيث كانت بالنسبة لها الناصح الأمين ، فقالت لها :
" דודה ! אני אוהבת אותך . את היפה מכולן . דודה דינה חיבקה אותי ונשקה לי.(1)
" عمتى إننى أحبك . أنت أجمل الجميع . أحتضنتنى عمتى وقبلتنى . "
يتضح من هذا الاستشهاد مدى تعلق دوريس بعمتها حتى أنها تلجأ إليها حين لا تفهم شىء وتسألها ، بينما لا تسأل أمها عن شىء .
وبعدها بعدة أيام بدأت العمة تتحدث مع " دوريس "عن " يهودا" زوج المستقبل ،لاحظت غضب دوريس وكراهيتها لهذا الزوج ، فحاولت إقناعها به حيث قالت لها :
" יהודה יהיה בעלך , כמו שאביך בעלה של אמא , כמו ששמעון בעלי .איך את מרשה לעצמך ? האם תסכימי שאמך תחשוב רע על אביך ? "(2)
" يهودا سيصبح زوجك ، مثلما أبيك زوج لأمك ، ومثلما شمعون زوجى .
فكيف تسمحى لنفسك ؟ هل توافقين على إن أمك تفكر بسوء فى أبيك ؟ "
فى هذا الحوار تحاول العمة إقناع إبنة أخيها بزوج المستقبل يهودا ، فتذكر لها أن أبيها هو زوج أمها ، وأن شمعون هو زوج عمتها .ولن توافق دوريس على تفكير أمها بسوء فى أبيها .
فلم يكن من دوريس إلا أن قالت لعمتها أنها لا تحب هذا الزوج ، ولا تريد أن يقترب منها ، حيث قالت لعمتها :
" כן, זה נכון . אני לא אוהבת שהוא נוגע בי . למה הוא נוגע בי ? כי הוא בעלך."(3)

1- דרוויש, שלום .פריים פריים !, עמ' 66 .
2- שם , עמ' 71 . 3- שם ، עמ' 72.

" نعم ، هذا صحيح . أنا لا أحب أن يلمسنى. فلماذا يقترب منى ؟ لأنه زوجك. "

وأخذت العمة تحاول إقناع الفتاة بشتى الطرق ، وبسبب هذه الرعاية من قبل هذه العمة كانت دوريس تحبها أكثر من أمها وأبيها وأخواتها ، قالت دوريس :

" אני אוהבת את דודתי יותר מכל . אפילו יותר מאשר את אמי ואת אחיותי ." (1)

" أنا أحب عمتى أكثر من الجميع. وحتى أكثر من أمى ومن أخواتى . "

يوضح لنا هذا الاستشهاد العلاقة الحميمية التى تربط الفتاة بعمتها ، حتى أنها صارت أقرب إليها من والدتها ، وأخواتها .

ب- مرض دوريس بسبب قرب زواجها :-

ساءت حالة دوريس النفسية عندما اقترب موعد زفافها ، ورغم حبها وتعلقها بعمتها، إلا أن ذلك لم يؤثر على حالتها النفسية ، حتى أن عمتها أشارت بعرضها على طبيب ، ظنًا منها بأن الفتاة مريضة . جاء فى الرواية :

" הרופא קבע שאני בריאה ושלימה . והכל מקורו בעצבים.מה זה ? " (2)

" أشار الطبيب بأننى معافاة ،وفى أحسن صحة . إن السبب فى ذلك الأعصاب .ماذا ؟"

إن الحالة السيئة للفتاة تسببت فى مرضها النفسى ، واستدعاء الطبيب الذى قال أنها فى صحة جيدة ، وأن ما تتعرض إليه ناتج عن حالة نفسية سيئة . ولم يعجب الأب مثل هذا الحديث ، حيث إنه رفض الأمر برمته ، لخوفه من أن توسم ابنته بالجنون ، ولذا رفض أن تعرض ابنته على طبيب نفسى . تقول دوريس :

" הוא סרב להרשות לי ללכת לרופא עצבים . הוא טען שאולי אני אוכלת מאכלים שאינם טובים .... תנו לה יותר תה עם לימון ותכפילו לה את מנת הפירות , והכל יעבור בשלום ."(3)

" رفض أن يسمح لى بالذهاب إلى طبيب نفسى . وادعى أننى ربما أكلت طعامًا فاسدًا ... (وقال) أعطوها كثيرًا من الشاى وعليه الليمون ، وضاعفوا لها وجبة الفواكه ، وكل شىء سيمر بسلام . "

---

1 – דרוויש, שלום . פריים פריים !, עמ' 72 .

2- שם ، עמ' 72. 3– שם ، עמ' 73.

يرجع رفض الأب ذهاب إبنته للطبيب النفسى إلى خوفه الشديد عليها ، ولذا ادعى أنها تناولت طعام فاسد ، وأنها حين تعالج من ذلك سوف تشفى .

وتدخل بعض الأقارب ، ونصحوا الأب والأم بأخذها إلى عراف يدعى الحاخام يهودا ، فهو الذى سيشفيها بعد أن يهمس فى أذنها ببعض التعاويذ الشافية . وبالفعل سرعان ماقتنعت الأم ، وأخذت دوريس إليه ، تذكر لنا دوريس عن هذا الحاخام :

" הוא שם ידו על ראשי ומילמל דברי קודש . ולאחר ששמע בקשב רב , שכל מה שאירע לי , היה בעת משחק עם הילדים , הינהן בראשו ,לקח פיסת ניר קטנה והחל לכתוב עליה אותיות ." (1)

"وضع يده فوق رأسى وهمس بكلمات مقدسة . وبعد أن أصغى بانتباه شديد ،لكل ما حدث لى ، فى وقت اللعب مع الأطفال ، أومأ برأسه ، وأخذ قصاصة ورق صغيرة ، وبدأ يكتب عليها حروفًا . "

هذا الشخص الذى ادعى المعرفة وأخذ يهمس بكلمات مقدسة ما هو إلا عراف ، لا يفهم شيئاً ، وكل ما فعله لايمثل سوى خرافات ، ويؤكد ذلك ما جاء على لسان دوريس بأنه لم يحدث تغيير .حيث قالت :

" הלחשושים שלחש חכם יהודה באוזני ,כאילו לא היו ." (2)

" الهمسات التى همسها الحاخام يهودا بأذنى ، كأنها لم تكن . "

وحتى العمة دينا لم تكن تصدق مثل هذه الخرافات ، فلم تعجب بما فعلته زوجة أخيها ، وذهابها إلى هذا الحاخام ، حيث إنها أخذت تتهكم من هذا التصرف .(3)

ولم يكن هناك أحد بجوار الفتاة سوى عمتها التى كانت تفهم كل شىء، وتحاول أن تنقله إلى الفتاة دون أن تبعث فى قلبها شيئًا من الخوف ، مثلما فعلت أختاها مازال وتوفا ، وكان هذا يؤدى إلى تعلق الفتاة بعمتها وزيادة حبها لها ، فتذكر لنا دوريس عن هذا الأمر:

1- דרוויש, שלום . פריים פריים !, עמ' 73 .

2- שם , עמ' 73 .

3- انظر ، דרוויש ,שלום . פריים פריים ! , עמ' 73 -74 .

" דודה דינה לקחה אותי ביד אל חדרי , וכשביקשתי ממנה שתיכנס למיטתי , נענתה נשקה לי ונשקתי לה,והתחבקנו . דודה !אולי תישארי לישון כאן הלילה ?הייתי רוצה, חבובה ,אבל מה יאמר שמעון שלי ? מי ישכב לצדו ?
למה אינו ישן לבדו ? למה ? כי אני אשתו וזוהי זכותו ...."(1)

" أخذتنى العمة دينا من يدى إلى غرفتى ، وعندما طلبت منها أن تدخل إلى مخدعى ، أجابتنى . وقبلتنى وقبلتها ، واحتضنا بعضنا. (سألتها) عمتى ! هل ستظلى لتنامى هنا هذه الليلة ؟ كنت أريد ، حبيبتى ، ولكن ماذا يقول شمعون ؟ ومن ينام بجواره ؟
لماذا لا ينام بمفرده ؟ لماذا ؟ لأننى زوجته ، وهذا حقه ....."

من خلال هذا الحديث للفتاة دوريس ، تبدو مكانة العمة العظيمة لدى الفتاة ، وتعلقها الشديد بها ، فهى حتى فى مرضها تريد عمتها وليست أمها .

رابعًا : المرأة العراقية اليهودية والزواج :

أ - ليلة الحناء

يتم الزواج فى الشريعة اليهودية بقسم ، وعهد بين العريس ووالد العروس ، ويقوم والد العروس بعد ذلك بعمل وليمة للحضور بهذه المناسبة ، وأحيانًا كان العريس هو الذى يقوم بعمل الوليمة للحضور(2) وأثناء مراسم الزواج تعد غرفة للعروسين بها المظلة חופה التى يقفان تحتها أثناء قسم الزواج ، ويبقى العروسان فى هذه الغرفة ، ولا يخرجان منها إلى ما بعد إتمام الزواج . (3) ويبدأ احتفال الزواج فى اليوم السابق للزواج حيث كانت العروس وسائر النساء يضعون الحناء على أيديهن وأرجلهن من أجل إبعاد الأعين الشريرة الحسودة(4) وتبدا مراسم الزفاف في الرواية في الفصل الثاني ، بتحديد الليلة التي سيتم فيها العرس والاستعدادات لهذا العرس بالوليمة الكبيرة التي تعد علي شرف العريس الثري ، وتجهيز الحناء وما إلي ذلك ، حيث جاء فى الرواية :

1- דרוויש, שלום .פריים פריים ! ، עמ' 75 . 2- سفر القضاة 10/14 .

3- سيد سليمان عليان(د.) : نساء العهد القديم ، مرجع سابق ، ص 29–30 .

4- سوزان السعيد يوسف (د.): المرأة فى الشريعة اليهودية حقوقها وواجباتها ، مرجع سابق ، ص 92 .

" אמי יצאה לקנות " חינה ", והביאה אותה ארוזה בשקית נייר חום . על אחותי רבקה הוטל להוסיף מים וללוש. עוזריו של הטבח הלכו לשכנים וביקשו שישאילו לנו

כיסאות, הרבה ככל האפשר, ואכן חזרו עם כסאות רבים מכל הגדלים ומכל הצבעים .הטבח הביא למטבח הרבה בשר כבש , ועופות ...." (1)

" خرجت أمي لشراء الحناء، وأحضرتها معبأة في كيس ورقى بني .وكان علي أختي رفقة أن تضيف الماء وتعجنها . وذهب مساعدو الطباخ إلي الجيران ليسألوا عن إعارتنا المزيد من الكراسي ، وبالطبع عادوا ومعهم العديد من الكراسي بمختلف الأحجام والألوان . كما أحضر الطباخ إلي المطبخ الكثير من لحم الضأن ، والطيور ....."

اقتصردور الأم فى الرواية على شراء الحناء التى ستقوم بإعدادها الأخت الكبرى رفقة ، وجاء الطباخ لتجهيز الطعام ، بينما انصرف مساعديه ليسألوا الجيران إعارتهم المزيد من الكراسى ، نظرًا لزيادة عدد الحاضرين . وتستأنف دوريس حديثها عن مراسم الزواج فتقول إن الضوضاء صاخبة جداً، وذلك بسبب النساء الوافدات فضلاً عن الطباخ ومساعديه ،والمعروف أن تقليد إقامة المأدبة ، على الأخص فى الأفراح والمناسبات ، تقليد قديم ، وهو من العناصر الهامة التى ينبغى أن يتم بها الزواج(2) ثم اقتربت إحدى النساء من رفقة لتهمس لها بشيء : " מישהי ניגשה לרבקה והורתה לה להכין כדור "חינה" גדול ועוד כדורים קטנים. ולמי הגדול ? שאלה רבקה . את הכדור הגדול שמים בתוך כף ידה של הכלה , סוגרים את הכף וקושרים עד הבוקר , ואילו הקטנים מיועדים לנערות המצפות לחתונה . "(3)

"اقتربت إحداهن من رفقة ،ونصحتها أن تعد كرة حناء كبيرة، وعدة كور صغيرة . سألت رفقة ولمن الكبيرة ؟ الكرة الكبيرة نضعها في كف يد العروس ، ونضم اليد ،ونربطها حتي الصباح ، أما الكرات الصغيرات فهي للفتيات اللواتي ينتظرن الزواج . "

صاغ لنا شالوم درويش فى هذه الفقرة ما يحدث فى ليلة الحناء من تجهيز ، وإعداد كور

1- דרוויש ,שלום . פריים פריים !، עמ' 83.

2- محمد سبعاوى محمد (د.) : الزواج فى الشريعتين اليهودية والاسلامية ،مرجع سابق ، ص292 .

3- דרוויש ,שלום . פריים פריים !، עמ' 83.

صغيرة من الحناء تقدم للفتيات اللواتى اقترين من سن الزواج . كما ذكرت العمة أن للحناء أهمية بالغة في منع الحسد : "ה-"חינה" היא סגולה נגד עין-הרע ...."(1)

"إن الحناء موصوفة ضد عين الحسود..." (2)

وعن فستان الحناء تذكر دوريس :

" דודה דינה דאגה שהתופרת תבוא להלבישני את שמלתי הוורודה שתפרה לליל— ה"חינה". שתיהן חברו יחד לקשט אותי . "(3)

" اهتمت عمتي بأن تأتي الخياطة لكي تقيس فستاني الوردي التي حاكته لليلة الحناء ، كلتاهما أهتمت بزينتي . "

لقد كان اهتمام العمة والخياطة بدوريس وزينتها حتى يكون فستانها جيدًا ، ولا يكون مثل فستان الخطبة الذى لم يكن على مقاسها .وبعد أن تمت زينة دوريس تقول إنها كانت جميلة جداً : " לאחר שתמה מלאכת הקישוט , התבוננתי בריא , נראיתי כמו בובה מאלו המודגמות בחלונות הראווה של החנויות הגדולות. " (4)

" بعد أن تمت زينتي ، نظرت في المرآة فبدوت مثل المنيكان من تلك الموديلات في فتارين العرض في المتاجر الكبيرة ."

لقد بذلت العمة مجهودًا فى زينة الفتاة ، حتى أن الفتاة أعجبت جدًا بنفسها ، ورأت نفسها مثل المنيكان ، وهو ما يشير إلى شدة الجمال .

وعن الحذاء الذي تم اختياره لتلك الليلة ، تذكر دوريس أنه كان ذا كعب عال، وأنه لم يكن مناسباً لها ، إذ أنها لم تستطع المشي به ، لذا اختارت العمة حذاءً مناسباً :

1- דרוויש ,שלום . פריים פריים ! , עמ' 84 .

2- عن اللون الأحمر والأرواح الشريرة راجع :

- Encyclopaedia Judaica,volume11, p 1044.

3- דרוויש ,שלום . פריים פריים ! , עמ' 84 .

4- שם , עמ' 84 .

" הדודה בחרה בנעליים נמוכות עקבים , ונוחות להפליא . תודה לך ,דודה!
הדודה אחזה בידי והוליכה אותי לחצר-הבית , שם הכינו לי כיסא בין שני הנרות הגבוהים שתקעו בתוך החיטה ."(1)

" اختارت عمتي حذاءً منخفض الكعب مريحًا جداً . شكراً لك عمتي !

أخذت العمة بيدى إلى ساحة البيت ، هناك جهزوا لى مقعدًا بين شمعتين كبيرتين ،غرستا وسط الحنطة . "

ولم يكن اهتمام العمة قاصرًا على الفستان والزينة فقط ، بل أيضاً الحذاء حيث اختارت لها الحذاء المناسب لها ، وأيضاً المقعد الذى ستجلس عليه.

وبمجرد أن جلست دوريس بدأ العزف والغناء :

" רק ישבתי , וכבר התחילו לשיר ולזמר .בשיר הראשון הן פנו לאמי ."(2)

"بمجرد أن جلست ، بدأوا فى الغناء والعزف . الأغنية الأولى كانت موجهة إلى أمى "

لم يبدأ العزف إلا حين جاءت العروس ، وذلك فرحة بها ، وهناك الكثير من الأغنيات اليهودية يتغنى بها المحتفلون بيوم الزواج(3) وتحدثت الفتاة أيضًا عن المشروبات التى قدمت فى تلك الليلة.(4) ونلاحظ أن كل هذه الأحداث التى أحاطت بالفتاة، لم تؤثر عليها ،حيث قالت :

" בעצם לא ידעתי ולא הבינתי מה קורה סביבי .הכל היה כמו חלום בלהות." (5)

" الحقيقة لم أعرف ، ولم أفهم ما يحدث حولى . كل شىء بدا مثل حلم مروع . "

ورغم كل هذا الاهتمام بدوريس ، لم تكن دوريس تفهم ما يحدث حولها ، كانت تعتقد أن هذا مجرد حلم ، ولكن ليس بالحلم العادى بل حلم مروع ، وهو ما يشير إلى عدم فرحتها بهذه المراسم . ونلاحظ أن " شالوم درويش " أسرف فى دور العمة ، فهى التى كانت تقوم بدور الأم ، فى حين أنه جعل دور الأم والأسرة أقل مما يجب :

1- דרוויש, שלום . פריים פריים ! ، עמ' 85.

2-שם ، עמ' 85.

3- محمد سبعاوى محمد (د.) : الزواج فى الشريعتين اليهودية والاسلامية ،مرجع سابق ، ص294 .

4-راجع – דרוויש,שלום .פריים פריים !، עמ' 85. 5- שם , עמ' 85 .

"אמי שהתה רוב הזמן במטבח , שם השגיחה שהכל יהיה טרי , נקי וטעים , ושלא יחסרו מאכלים לאורחים ,ואילו אבי הסתובב בין הקרואים לוודא שכל אחד מקבל את מבוקשו. אחיותי ישבו בפינת החצר והיו מוכנות להיענות לכל פניה לעזרה."(1)

" قضت أمى معظم الوقت فى المطبخ ، حيث أشرفت علي أن يكون كل شيء طازجًا ونظيفًا ولذيذًا ، وأن يكون كافياً للضيوف ، أما أبي فكان يطوف علي المدعوين حتى يحصل كل شخص على طلبه. أخواتي جلسن في ركن من ساحة المنزل ، وكن مستعدات للمساعدة "

وقد شعرت العروس أن من أهلها من تحقد عليها مثل أختها توفا טובה ، بسبب زواجها من زوج ثري ، حيث قالت : " ממושבה הרחוק שילחה בי אחותי טובה מבטים מרושעים מלאי קנאה. למה ? האם היא מקנאה בי שאהיה עשירה ...?"(2)

" من مجلسها البعيد رمقتني أختي توفا بنظرات شريرة مليئة بالحسد . لماذا؟ هل تكرهني لأنني سوف أكون ثرية ... ؟ "

يسعى شالوم درويش للبحث عن دور لأخوات دوريس ، ولو كان هذا الدور هو الحسد بسبب شعور الأخت توفا بأن أختها دوريس الأصغر منها ستصبح غنية .

أما عن العمة ومشاعرها نحو ابنة أخيها ، فتصفها دوريس بأنها كانت مثل الملاك :

" דינה היתה כמלאך הגואל. היא עמדה על המשמר ,הביטה בי בדאגה רבה, וניגשה מדי פעם לדבר כביכול עם יהודה ,ובאותו זמן שאלה לשלומי בלחש." (3)

" كانت دينا كالملاك المخلص، وقفت حارساً . تنظر إلي باهتمام بالغ ، واقتربت من وقت لآخر للحديث مع يهودا كلما أمكن ذلك ، وفي ذات الوقت سألت عن حالي هامسة "

تتدافع الألفاظ والكلمات التى تعبر عن حب دوريس لعمتها حتى أنها وصفتها بأنها ملاك مخلص ، تقف بجوارها حتى تشعر بالأمان وتتحدث مع عريسها من وقت لآخر ، وكذلك تتحدث مع دوريس نفسها .

1- דרוויש, שלום . פריים פריים !, עמ' 86 .

2- שם , עמ' 86 .

3 - שם , עמ' 86 - 87 .

ثم تستمر مراسم الحناء وسط هذه الأحداث الصاخبة بالنسبة للفتاة ،حيث إنها لا تريد ذلك، ولكنها لا تخبر أحداً سوي عمتها الحبيبة ، ولقد أشارت دوريس إلي ذلك حين سألتها عمتها قائلة : "אמרי לי, דוריס ,את לא שמחה ? לא .אני רוצה למות . למה ? מה חסר לך? מה את רוצה ? רק תגידי ! מה אני רוצה ? יותר חשוב שתדעי מה שאינני רוצה. מה ? את יהודה . אל תחזירי אותי אליו ...אסור שיידע שאת אינך רוצה בו ."(1)

" فلتخبريني دوريس ألست سعيدة ؟ لا أنا أريد أن أموت . لماذا ؟ ماذا ينقصك ؟ ماذا تريدين أخبريني فقط ! ماذا أريد ؟ الأهم أن تعلمي ما لا أريده ماذا ؟ يهودا لا تعيديني إليه ....ممنوع أن يعلم أنك لا تريدينه . "

يبدو واضحاً أن البطلة تشعر بالحزن والاحباط حتى أنها تمنت الموت لكى لا تتزوج من هذا الرجل الثرى . وتكمل دوريس حديثها عن مراسم العرس ، وكيف أنها شعرت بتعب شديد ، وتقيأت على ثوب أختها توفا ، حين ذهبت لترى ماذا حل بها ، حيث روت أنها حين جاءت إليها توفا وسألتها : " מה לך ? מה לך ,דוריס? לא עניתי , רק היקאתי על שמלתה החדשה... התרחש הכל מהר. טובה זרקה אותי מעליה ישר לזרועותיה של דודה דינה , שהובילה אותי כרגיל לחדר הרחצה , ניקתה אותי ,השקתה אותי ."(2)

" ماذا بك ؟ ماذا بك دوريس ؟ لم أجب فقط تقيأت على فستانها الجديد ....حدث كل شىء بسرعة . ألقتنى توفا إلى ذراعى عمتى دينا مباشرة ،التى نقلتنى كالعادة إلى الحمام، ونظفتنى ، وسقتنى . "

وتنهى البطلة حديثها عن ليلة الحناء قائلة : "בגמר החגיגה של ליל –ה"חינה" , קרבה אלי אמי ולחשה לי: הכנתי לך הפתעה. אמא מהי ההפתעה ? אם אגיד לך , לא תישאר הפתעה . לכי לישון. סמכי על אמך , לכי, לכי חביבתי."(3)

" ومع انتهاء احتفال ليلة الحناء ، اقتربت منى أمى ، وهمست قائلة : أعددت لك مفاجأة . أمى وما هى المفاجأة ؟ إذا أخبرتك ، لن تصبح مفاجأة .إذهبى للنوم. واعتمدى على أمك، إذهبى ، إذهبى حبيبتى . "

1- דרוויש, שלום . פריים פריים ! , עמ' 87 .

2- שם , עמ' 88 . 3- שם , עמ' 89 .

ظهر دور الأم للمرة الثانية بعد شراء الحناء ، حيث اقتربت من دوريس ابنتها لتذكرلها أنها أعدت لها مفاجأة ، ولم تخبرها عن ماهية هذه المفاجأة .

ب- ليلة الزفاف :-

تبدأ مراسم الزفاف باستيقاظ الفتاة من النوم بعد انتهاء ليلة الحناء ، وانتظارها للمفاجأة التى وعدتها بها أمها . ذكرت دوريس :

" אזרתי כוח להתרחץ ולהתלבש כדי להיות מוכנה ומזומנת להפתעה שנועדה לי באותו בוקר ." (1)

" استجمعت قواى لكى أغتسل وأرتدى ثيابى حتى أكون مستعدة وجاهزة للمفاجأة التى أعدت لى فى هذا الصباح . "

لقد نجحت الأم فى أن تجعل ابنتها تفكر فى أمر المفاجأة التى أعدتها لها حتى أنها قامت مبكراً ولم تكن قد أخذت القدر الكافى من النوم ، وذلك من أجل الاستعداد للمفاجأة التى أعدتها أمها . ولكن المفاجأة لم تكن كما تريد ، حيث إنها أحضرت لها السيدة التى ستقوم بتجهيزها لليلة الزفاف ، وهى السيدة التى جهزت عمتها دينا من قبل ، ولكن هذه السيدة لم تجد أمامها عروسًا ، بل وجدت طفلة لن تحتاج إلى ما كانت ستفعله .(2)

وبعد أن ارتدت الطفلة ثوبها ، وتم تزيينها ، انتقلت هى والعريس إلى الكنيس ، حيث استكمال مراسم الزفاف ،وسط تعليقات الحضور حول العروس وصغرسنها ، ذكرت دوريس :" יהודה טעה טעות חמורה שלא שמע לעצתה של דודתי דינה, שיסתפק בטקס צנוע לבני המשפחה . ביום שנקבע לחופה בבית-הכנסת המפואר ביותר בבגדאד .." (3)

" أخطأ يهودا خطأ شديدًا ، لأنه لم يستمع لنصيحة عمتى دينا ، بأن يكتفى بحفل محدود لأبناء العائلة . وفى اليوم المحدد لخيمة العرس فى الكنيس الفخم جدًا ببغداد... "

1- דרוויש ,שלום . פריים פריים ! , עמ' 89 .

2- שם ، עמ' 89 : 91.

3- שם ، עמ' 93 .

تخاطب البطلة نفسها فى هذا المقطع السردى من أجل نقل الصورة جيداً للقارىء فى أمر خطأ يهودا لعدم سماعه لنصيحة عمتها ، وذلك بسبب تعليقات الحاضرين على العروس صغيرة السن ،ولقد أوضح الكاتب لنا أن احتفال العرس تم فى المعبد ،وذلك إشارة منه إلى عادة اليهود إقامة مثل هذه الاحتفالات داخل المعبد نظرًا لقدسية المكان ، ولوجود صالة كبيرة تتسع لعدد كبير من المدعوين، ومازال المعبد هو المكان المفضل لدى كثير من اليهود ،ومن الطقوس اليهودية أيضًا ذهاب العريس بصحبة أهله يوم السبت السابق لزواجه إلى المعبد أوبيت الكاهن ، لتلاوة أجزاء من التوراة (1) ولم يتعرض شالوم لمثل هذا الطقس ، وفى ذلك إشارة إلى أن يهود العراق كانوا لا يقومون بهذا الطقس ،وكان من بين التعليقات التى رددها الحضور على العروس الصغيرة:

" זוהי הכלה. ראו ,הרי זו תינוקת ! בובה קטנה שכזו ! מסכנה! הוא קנה אותה . פושעים ! פושעים ! איך הסכים אביה , איך?! כמו בהודו . מוכרים תינוקות ."(2)

" هذه العروس . انظروا ، إنها طفلة ! لعبة صغيرة كهذه مسكينة ! لقد اشتراها .

آثمون ! مجرمون ! كيف وافق أبوها ، كيف ؟ مثلما فى الهند . يبيعون الصغيرات ."

وكان من بين التعليقات على العروس ، أنها طفلة صغيرة ، وكيف أن أهلها قاموا ببيعها لهذا العريس كما يحدث فى الهند ، ومن المعروف أن الشريعة اليهودية تفرض

وبعد انتهاء المراسم داخل الكنيس ، ركبت دوريس وزوجها عربته، استعدادًا على الأب حقوق وواجبات إزاء ابنائه ، وتكون حقوق البنات أكثر من الأولاد (3)لمغادرة الكنيس إلى قصر العريس ، حيث ذكرت دوريس :

" המכונית נסעה אל ארמונו של יהודה . נכנסתי לבית המפואר לבושה שמלת-כלולות לבנה , ... אמי , חמותי ושאר נשות שתי המשפחות המתינו לבואי והחלו לברכני . היו שחיבקו אותי , היו שנשקו והיו שצבטו בזרועי. אמי מחתה דמעה כשברכה אותי ." (4)

1- محمد سبعاوى محمد (د.) : الزواج فى الشريعتين اليهودية والاسلامية ،مرجع سابق ، ص293 -294.

2- דרוויש, שלום . פריים פריים !، עמ' 93 – 94 .

3- האנציקלופדיה העברית , כרך 24 , עמ' 654 -655 .

4- דרוויש ,שלום . פריים פריים !، עמ' 94 .

" سافرت السيارة إلى قصر يهودا . دخلت البيت الفخم أرتدى فستان العرس الأبيض ،... أمى وحماتى وبقية نساء العائلة انتظرن حضورى وبدأن تهنئتى . منهن من احتضنتنى ، ومنهن من قبلتنى ، ومنهن من أمسكت بذراعى . وكفكفت أمى دمعتها وهى تهنئنى . " يشرح شالوم درويش بالتفصيل وصول العروس إلى قصر عريسها الثرى ، وتهانى نساء العائلتين للعروس ، إلى جانب حزن الأم لمفارقة ابنتها دوريس .ولكن دوريس بمجرد وصولها إلى القصر، شعرت بالغربة ، فلقد انتقلت دوريس إلى منزل والد العريس لكى تعيش مع أسرته، وهذا النوع من الزواج يعرف باسم البعل ، وتعرف الأسرة فى هذا الزواج بالأسرة الأبوية (1) وهذا ما تسبب فى شعور البطلة بأنها وحيدة بين الحاضرين حيث قالت :

" פתאום קראתי : איפה הדודה ? איפה הדודה? דינה נענתה ורצה לקראתי:
אני כאן .אני איתך . בן רגע הייתי בזרועותיה . דודה אל תעזבי אותי.לא. לא אעזוב אותך. אהיה איתך כל הזמן . הירגעי ,דוריס ! את נראית עייפה. בואי ,תנוחי בסלון נכנסתי אחריה. היא הביאה לי כוס מיץ ענבים קר, ונפשי שבה אלי. "(2)

" فجأة ناديت : أين عمتى ؟ أين عمتى ؟ فأجابتنى دينا وأسرعت نحوى . أنا هنا . أنا معك . وفى لحظة كنت بين ذراعيها .(وقلت) عمتى لا تتركينى .(فأجابتنى) لن أتركك . سأكون معك طوال الوقت . استريحى ، يا دوريس ! تبدين مريضة . تعالى ، لتستريحى فى الصالون . دخلت وراءها . أحضرت لى كوبًا من عصير العنب المثلج ، فتمالكت نفسى . "

هذا الحديث الداخلى للبطلة دوريس يشير إلى مدى شعورها بالخوف وسط العائلة الجديدة التى دخلت فيها ، ولذا أرادت أن ترى عنصر الأمان بالنسبة لها والمتمثل فى عمتها دينا التى حاولت أن تشعرها بالأمان والإطمئنان .

وبعد ذلك هنأ الحاضرون دوريس ، استعدادًا لمغادرتهم القصر ، فهنأتها أخواتها واحدة تلو الأخرى ، بينما دخلت معها عمتها إلى غرفتها لتحدثها عن ليلة العرس (3)

وحاولت أن تحبب إليها زوجها فقالت لها :

1– سوزان السعيد يوسف (د.): المرأة فى الشريعة اليهودية حقوقها وواجباتها ، مرجع سابق ، ص 93 .

2– דרוויש ,שלום . פריים פריים ، עמ' 95 .

3- שם ، עמ' 95 -96 .

" זהו אדם עשיר מופלג שהיה בכוחו להתחתן עם הבחורה הכי יפה בבגדאד. ולמה לא עשה ? כי את מצאת חן בעיניו . זה לא נכון , דודה .הלוא את יודעת שהוא הסכים להתארס איתי לפני שראה אותי. ואם לא ראה אותי, איך מצאתי חן בעיניו ?"(1)

" إنه إنسان غنى ممتاز . كان فى مقدرته أن يتزوج من أجمل فتاة فى بغداد .

ولماذا لم يفعل ؟ لأنك أعجبته . هذا ليس صحيحًا ، يا عمتى . ألا تعلمين أنه اتفق على أن يتزوجنى قبل أن يرانى . فإذا لم يكن قد رآنى ، فكيف أعجبته . "

كانت هذه محاولة من العمة لإقناع دوريس بحب زوجها الثرى لها ، ولكن دوريس لم تكن تصدق ذلك ، لأن هذا الزوج وافق على الزواج منها قبل رؤيتها بعد أن رفضت أختها الكبرى الزواج منه . ونجحت العمة فى النهاية فى أن تقنع دوريس بزوجها يهودا . (2)

ج- ليلة الصباحية :-

تبدأمراسم هذه الليلة فى اليوم التالى للعرس ، حيث تذكر لنا دوريس عن تلك الليلة :

"במוצאי השבת , לאחר הכלולות ,ערך יהודה נשף-"סובחיי". בנשף זה ,על החתן להזמין את משפחת הכלה."סובחיי" מלשון "סובח" , בוקר, פירושו שהמסובים נשארים לחגוג, לשיר ולהתהולל עד אור הבוקר. בלילה הזה האורחים,קרובי שתי המשפחות מביאים אצ ידידיהם ואת מכריהם ומגישים מתנות . גם למתנה קוראים "סובחי" משום שהיא מוגשת בליל-הנשף ההוא ." (3)

" وفى مساء السبت ، بعد حفلة العرس ، أقام يهودا احتفال "الصباحية" . وفى هذه الحفلة يكون على العريس أن يدعو أسرة العروس ." صباحية" من كلمة " صبح " ، أى صباح ، ومعناه أن المحتفلين يواصلون الاحتفال،والغناء والمزاح حتى يشرق الصباح. وفى هذه الليلة يحضر الضيوف من أقارب العائلتين ،وأصدقائهم ، ومعارفهم ويقدمون الهدايا. أيضًا الهدية تسمى "صباحية" لأنها تقدم فى ليلة هذا الاحتفال . "

شرحت لنا البطلة معنى كلمة صباحية ، وما يحدث فى هذا اليوم من مراسم حيث يستمر الاحتفال فى هذا اليوم حتى تشرق الشمس ، كما يتم تقديم الهدايا للعروسين.ويلاحظ تأثر يهود العراق بما يحدث فى العراق من مراسم فى الصباحية (4)

---

1 – דרוויש, שלום . פריים פריים ، עמ' 97 . 2- שם ، עמ' 100. 3- שם ، עמ' 102.

4-http: // WWW btb44.com /vb /showth read.php 9/1/2011.

ولقد أعطى يهودا جميع الهدايا التى قدمت إليهما، إلى دوريس تتصرف بها كيف تشاء

" כל המתנות הן שלך. עשי בהן כרצונך . תרצי ,תשמרי אותן לעצמך,תרצי , תתחלקי בהן עם מישהו מבני משפחתך. אני אינני רוצה לדעת מה תעשי עמן. רק הכיני רשימה של מביאי המתנות שאדע למי אני חייב להחזיר בשמחות."(1)

" جميع الهدايا لك . افعلى بها ما تريدين . تريدين أن تحتفظى بها لنفسك ، تريدين تقسيمها مع أحد أفراد عائلتك . أنا لا أريد أن أعرف ما تصنعين بها . فقط أعدى قائمة لمحضرى الهدايا ، حتى أعرف من يجب أن أرد له فى مسراته . "

وكان هذا التصرف من قبل يهودا نقطة تحول حيث بدأ يشعر دوريس بشخصيتها ، وأنها لها مطلق الحرية فى التصرف فيما أهدى إليهما ، وطلب منها فقط القائمة التى تحوى اسماء محضرى الهدايا ، حتى يتمكن من مجاملة هؤلاء الأشخاص فى مسراتهم .

وبعد هذا التصرف من يهودا ، بدأت مشاعر دوريس تتبدل تجاه هذا الزوج حيث تقول:

" לאט-לאט התחלתי לחבב אותו ולכבד את רצונו .נזהרתי שלא לפגוע ברגשותיו. הוא התגלה כטוב בבעלים והיה זכאי שאנהג בו יפה ."(2)

" شيئًا فشيئًا بدأت أحبه ، وأحترم رغبته . وتجنبت أن أمس مشاعره . بدا كأفضل الأزواج ، فكان يستحق أن أتصرف معه جيدًا . "

يتضح أثر ما فعله يهودا مع دوريس من خلال حديثها مع نفسها عن مشاعرها الجديدة نحوه .

خامسًا: مشاكل المرأة العراقية اليهودية بعد الزواج :

أ- علاقة المرأة العراقية اليهودية بأسرة زوجها :-

حرص شالوم درويش على إظهار الحماة فى زواج البعل بأنها هى المسيطرة على الأسرة وسبب ذلك هو وفاة والد العريس ، حيث تذكر لنا دوريس :

" חמותי – קולה נשמע , והיא השולטת בכל בתבונה רבה .למוחורת מצאה לה חמותי סיבה לקרוא לי ,ושאלה : " אל תתבישי , חבובה! הגידי לי מה מפריע לך אצל יהודה. אני רוצה שתרגישיטוב בביתי ."(3)

1- דרוויש, שלום . פריים פריים ، עמ' 103.

2 - שם , עמ' 103 . 3- שם , עמ' 102 .

" حماتى – ذات صوت مسموع ، وهى المسيطرة على كل شىء بفطنة بالغة ، وفى اليوم التالى وجدت حماتى سببًا لتناديني ، وسألت : لاتخجلى ، حبيبتى ! أخبرينى ماذا يزعجك من يهودا . أريد أن تشعرى بسعادة فى بيتى . "

تبدو لنا المكانة المرموقة التى تحتلها شخصية الحماة من خلال هذا الاستشهاد الذى ذكرت فيه دوريس أن حماتها صاحبة الكلمة المسموعة فى المنزل ، وهى التى تسيطر على كل شىء ، كما أنها نجحت فى أن تشعر دوريس بأنها ستكون سعيدة فى هذا البيت .

كما وصفتها بأنها كانت حنونة بالنسبة لها ، فقالت عنها أنها كانت تناديها قائلة :

" בתי ! אינך בבית-סוהר. מותר לך לצאת לאמך בכל פעם שתרצי בכך ,או כשתרגישי צורך לראות את המשפחה.רק תודיעי ותסעי אליהם לכל זמן שתרצי ." (1)

" إبنتى ! لست فى سجن ، يسمح لك أن تخرجى إلى والدتك فى كل مرة تريدين ذلك ، وعندما تشعرين بحاجة لرؤية أسرتك ، أخبرى فقط واذهبى إليهم فى أى وقت تريدين."

إن حماة دوريس بفطنتها استطاعت أن تكسب زوجة إبنها ، وتشعرها بقدر من الحرية فى هذا منزل الزوجية الجديد الذى جاءت إليه. حتى أن دوريس كانت تجيبها ، وهى سعيدة بحديثها ، قائلة لها :

"אמא ! אינני מרגישה כאן בדידות .על ידך אינני חסרה אהבה וחמימות.את נותנת יותר ממה שקיבלתי מאמי שחילקה את זמנה ואהבתה בין אחיותי.אני כל-כך אוהבת אותך, אמא ! " (2)

" أمى إننى لا أشعر هنا بوحدة . بفضلك لا ينقصنى الحب والمودة . فأنت تمنحينى أكثر مما أخذت من أمى التى قسمت وقتها وحبها بين أخواتى . أنا أحبك جدًا ، يا أمى ! "

من رد دوريس على حماتها يتضح لنا مدى حبها لحماتها ، حيث إنها أصبحت مثل أمها بل وأكثر ، لأن أمها كان لديها أربع بنات قسمت بينهم الحب ،أما حماة دوريس فكانت تمنحها قدرا أكبر من الحب . كما كانت هذه الحماة متدينة، دائمة القراءة فى المقرا، وتحكى الكثيرمن القصص التوراتية . (3)

1- דרוויש, שלום . פריים פריים ! , עמ' 105 . 2- שם , עמ' 105 .
3- שם , עמ' 117.

ب- حمل دوريس : -

كانت فرحة بالغة حين علم الجميع بحمل دوريس ، ففرحت حماتها وقالت لها :
" ה ' ציוה לנו " פרו ורבו ". "(1)
" أمرنا الله بقوله " أثمروا وتكاثروا " . "

من هذه الجملة للحماة يتضح لنا مدى حرص حماة دوريس، ومدى اهتمامها بزوجة إبنها ، ورغبتها الشديدة فى انجاب دوريس ، حتى أنها تصيغ لها من الشريعة ما يؤكد أهمية الانجاب والتكاثر .حيث إن الانجاب كان أهم واجبات المرأة اليهودية (2)

ولكن كانت متاعب الحمل هى التى تقلق الفتاة ، ولكن حماتها طمأنتها :
" בחודשים הראשונים , חליתי . הרביתי להקיא ולא בא אוכל לפי. חמותי אמרה שתופעה זו טבעית."(3)
" فى الأشهر الأولى ، مرضت . كثر تقيوئى ولم أتذوق الطعام . وقالت حماتى إن هذه الظاهرة طبيعية . "

تسترجع البطلة ذكرياتها عن مرحلة الحمل ، وما صاحبها من أعراض كانت تقلقها ، ولكن الحماة الحنونة استطاعت أن تزيل هذه المخاوف من قلبها . ورغم حديث الحماة المطمئن ، إلا أن دوريس كانت قلقة :
" למרות כל מאמציה של חמותי ולמרות מסירותו של יהודה, לא פגו חששות מלבי."(4)
" رغم كل جهود حماتى ، ورغم إخلاص يهودا ، لم تذب المخاوف من قلبى . "

يبدو واضحاً أن دوريس ظلت مستمرة فى شعورها بالخوف من كل شىء تمر به فى حياتها الجديدة . لذا لم يكتب لهذا الحمل أن يستمر ، وبعدها بفترة حملت الفتاة للمرة الثانية ، وفى هذه المرة منعت من اللعب ، ومن أشياء كثيرة حتى لا يحدث ما حدث فى

1- דרוויש ,שלום . פריים פריים !، עמ' 106 .

2- سوزان السعيد يوسف (د.): المرأة فى الشريعة اليهودية حقوقها وواجباتها ، مرجع سابق ، ص98 .

3- דרוויש ,שלום . פריים פריים !, עמ' 106 .

4- שם , עמ' 106 .

الحمل السابق : " מאז לא נכנסתי אל חדר המשחקים .הדבר גם נאסר עלי כשהריתי בשנית."(1)

" منذ ذلك الحين لم أدخل غرفة الألعاب . حظر الأمر على عندما حملت للمرة الثانية . "

وبدأت الأسرة بأكملها تحلم بأن يكون المولود ذكراً ، ويسمى باسم والد يهودا ،

ذكرت دوريس :" הוחלט שהילד ייקרא על שם אביו של יהודה ."(2)

" تقرر أن يسمى الطفل باسم والد يهودا . "

وواضح أن المولود الذكر شيء أساسى بالنسبة لليهودى الشرقى ،مثله مثل جميع الشخصيات ، حتى أن يهودا قال لدوريس :

" אתן לך את מחצית העולם אם תלדי לי בן.אהיה לך עבד נרצע לכל החיים ."(3)

"أعطيك نصف العالم إذا ولدت لى ابناً ، وأكون لك عبدًا ذليلاً مدى الحياة . "

توضح هذه الجملة أهمية المولود الذكر بالنسبة لزوج دوريس ، حتى أنه قرر التنازل عن نصف ثروته مقابل إنجابها لمولود ذكر . ويرجع ذلك لأن المولود الذكر يرث مقام الأب فى الثروة ، وليس للبنات حق (4) بينما كان حلم الحماة أن يكون هذا الولد مثل أبيها " فرايم" ،ولا يكون مثل زوجها "منشيه"، وذلك لحبها الشديد لأبيها (5)

وعندما عاود "دوريس " القيء خافت عليها حماتها ، وذهبت بها إلى الحاخام حتى تطمئن عليها ، مثلما فعلت والدة دوريس سابقًا ، قالت دوريس :

" החכם התפנה לכתוב על פיסת נייר מלים ואותיות שלא היו מובנות לי כל העיקר. ... הוא הבטיח שתופעת ההקאות תיעלם ללא שוב ."(6)

1- דרוויש ,שלום . פריים פריים ، עמ' 111 .

2- שם ، עמ' 111 .

3- שם ، עמ' 112.

4- سوزان السعيد يوسف (د.): المرأة فى الشريعة اليهودية حقوقها وواجباتها ، مرجع سابق ، ص104 .

5- דרוויש, שלום . פריים פריים !، עמ' 114 .

6- שם ، עמ' 122 .

" اتجه الحاخام للكتابة فى قصاصة ورق كلمات وحروف لم تكن مفهومة لى مطلقًا ... و أكد أن ظاهرة القيء ستختفى بلا عودة ."

لقد تسبب جهل الحماة إلى لجوئها للحاخام العراف الذى يقوم بخداع الأشخاص باسم الدين وهو لا يفهم أى شيء فى الدين ، ولكنه يقوم بإدعاء المعرفة من أجل خداع من أمامه .

وتذكر دوريس أنها كانت تحاول التغلب على متاعب الحمل فتقول :

" תקופת ההריון לא היתה קשה במיוחד .אכלתי מעט. בחודשים הראשונים היקאתי , סבלתי מכאבי ראש ומסחרחורת , אך אלה חלפו .ביקשתי מיהודה שיביא לי ממאכלי ילדותי ."(1)

" فترة الحمل لم تكن صعبة عمومًا . أكلت قليلاً .وتقيأت فى الشهور الأولى، عانيت من وجع الرأس والدوار، ولكن كل ذلك تبدل. طلبت من يهودا أن يحضر لى من أكلات طفولتى ".

يبدو واضحاً من ذكريات دوريس عن فترة الحمل أنها عانت كثيراً فى تلك الفترة ، حيث تقيأت فى الشهور الأولى وكانت تأكل القليل ، هذاإلى جانب ألم الرأس والدوار .

لكن أحيانًا كانت تستسلم لآلامها وتبكى ، حتى أن عمتها قالت لها ذات مرة :

" תפסיקי ליילל ,דוריס. כל החיים לפנייך . למה את מקוננת על נעורייך, והרי את בסך הכל בת שבע עשרה ." (2)

" توقفى عن النحيب ،دوريس . الحياة بأكملها أمامك . فلماذا تندبين شبابك ، أنت فى النهاية تبلغين من العمر سبعة عشر عامًا . "

بسبب كل هذه الآلام التى شعرت بها دوريس فى ذلك الحمل بدأت تستسلم لآلامها وتبكى لذا تدخلت عمتها الحبيبة لتخفف من آلامها ، وتشعرها بجمال الحياة وأنها مازالت صغيرة السن ، والحياة أمامها جميلة .

ج - ولادة دوريس : -

انتهت جميع آلام دوريس حين وضعت ابنها الأول منشه تقول :

1- דרוויש, שלום . פריים פריים !، עמ' 123

2- שם ، עמ' 123 .

" מנשה בא לעולם .שמחה וששון . הלידה לא היתה מסובכת במיוחד. למרות חששות הרופאים .אביו של יהודה נולד מחדש בארמון מפואר. ,הוכנס לבריתו של אברהם אבינו ושמו נקרא בישראל מנשה. לא היה קץ לשמחתו של יהודה." (1)

" جاء منشيه (2) للعالم . سعادة وفرح . الوضع لم يكن مشكلة فى حد ذاته ، رغم مخاوف الأطباء . ولد والد يهودا من جديد فى قصر فخم ، ودخل فى عهد إبراهيم أبينا(أى تم ختانه) (3)، ودعى اسمه فى إسرائيل منسى. لم تكن هناك نهاية لسعادة يهودا. "

وبدأت الأسرة التفكير بعد ذلك فى رضاعة الطفل ، وهل سيأخذ حليبًا جاهزًا أم سيرضع من الأم ، وكان رأى العمة أن تقوم دوريس بإرضاعه ، ولكن دوريس لم يعجبها هذا الرأى فكانت لا تريد ارضاع الطفل . وعندما علم يهودا بنية دوريس عدم إرضاع منسى ، قفز من مكانه وقال : " לא יקום ולא יהיה ! את תניקי את בנך כמו כל הנשים בעולם . אמי תסביר לך כמה חשובה ההנקה ."(4)

" لن يكون ولن يحدث ! أرضعى أنت طفلك . مثل كل النساء فى العالم . أمى توضح لك كم هو مهم الرضاع ."

من هذا الحديث ليهودا يتضح لنا مدى اهتمام يهودا بأن تقوم دوريس بإرضاع طفله ، وذلك لأهمية الرضاعة الطبيعية للطفل ، حتى أن حماتها تدخلت فى الأمر وقالت لها :

" בתי . אני הינקתי את יהודה שנה וחצי ."(5)"إبنتى، لقد أرضعت يهودا عامًا ونصف."

ولكن دوريس رفضت إرضاع الطفل ، وانتهى الأمر بإحضار مرضعة للطفل ، كانت قد وضعت فى نفس فترة دوريس ، فجاءت لإرضاع الطفل "منشيه" .(6)

1- דרוויש, שלום . פריים פריים !، עמ' 127 .

2-ورد اسم منشيه كثيرًا فى المقرا وهوبكر سيدنا يوسف عليه السلام .
للمزيد انظر

–אבן שושן, אברהם .קונקורדנציה חדשה , ה' קרית ספר , ירושלים , 1988,עמ' 682 .

3- للمزيد انظر : سفر التكوين (17/ 10-11) .

4– דרוויש ,שלום .פריים פריים !، עמ' 128 .

5- שם ، עמ' 128 .

6- שם ، עמ' 129 .

د- العراقية اليهودية والتعليم : -

لم تكن دوريس تعرف القراءة والكتابة جيدًا ، بسبب حرمانها من التعليم(1) مبكرًا

قالت :" לא ידעתי קרוא וכתוב ולא יכולתי להמציא לעצמי תעסוקה ... אפילו חמותי מצאה לה עיסוקים מעניינים יותר .היא קראה בתנ"ך והתפללה שעות רבות." (2)

" لم أعرف القراءة والكتابة ، ولذا لم استطع أن أجد لنفسى عملاً .....أما حماتى فقد وجدت لنفسها أعمالاً مهمة جدًا ، لقد قرأت فى التناخ وصلت لساعات طوال . "

تطرح البطلة مشكلتها الرئيسية وهى عدم معرفتها للقراءة والكتابة ، وهو ما تسبب فى انعزالها ، فى حين أن حماتها المرأة المسنة كانت تقرأ فى التناخ وتصلى . ولذلك لم تجد دوريس بدًا من أن تكلم حماتها فى أن تتحدث إلى يهودا فى إحضار معلم لها يعلمها ، فمن الحاخامات من حارب فكرة تعليم المرأة التوراة ، ولكن هناك العديد من النساء حرص على التعليم

(3)قالت دوريس : " דיברתי על לב חמותי שתציע ליהודה שישכור מורה שילמדני קרוא וכתוב . יהודה שכר מורה שבא מדי יום .הוא לא היה צריך להתחיל מבראשית , שהרי את האלפבית למדתי ב"חדר" ."(4)

" تحدثت إلى حماتى أن تقترح على يهودا أن يرتب لى معلمًا يعلمنى القراءة والكتابة.فرتب معلمًا كان يأتى يوميًا، لم يكن ملزمًا بأن يبدأ من الأول،لأننى تعلمت الأبجدية فى الحيدر. "

يبدو واضحاً أن دوريس كانت تحب حماتها وتعلم أنها الأساس ولذا ذهبت إليها وتحدثت معها عن رغبتها فى أن تتعلم حتى لا تظل هكذا . ولكن المعلم الذى حضر لم يكن معلمًا جيدًا فقد كان : " הוא היה מרושל בלבושו ומלוכלך ."(5)

" كان مهملاً فى ثيابه وقذرًا . "

1- تعامل المرأة السفاردية الشرقية ، على أنها أقل ثقافة ، كما أنها تعمل فى أعمال أقل درجات عن مثيلتها الإشكنازية . - انظر، ديب على حسن : المرأة الصهيونية ، مرجع سابق ، ص 113 .
- وعن عدم المساواة بين الطوائف ג'נור ,פני. פערים חברתיים וכלכליים בישראל , עמ' 115- 125.

2- דרוויש ,שלום .פריים פריים !، עמ' 108 .

3- سوزان السعيد يوسف (د.): المرأة فى الشريعة اليهودية حقوقها وواجباتها ، مرجع سابق ، ص163 .

4- דרוויש, שלום .פריים פריים !، עמ' 108 .

5- שם , עמ' 108 .

بعد خيبة أمل دوريس فى هذا المعلم الذى وصفته بأنه كان مهملاً فى ثيابه وقذراً ، أحضر لها يهودا معلمًا آخر هو الذى علمها القراءة فى التناخ ، تقول دوريس :

" בעזרתו הצלחתי לקרוא בתנ"ך ולהצטרף בליל-הסדר לקוראי ההגדה ..." (1)

" بمساعدته نجحت فى أن أقرأ فى التناخ ، وأن أنضم ليلة عيد الفصح إلى قراء الهاجاداه."

واضح أن تعلم دوريس القراءة والكتابة جعلها تتمكن من القراءة فى التناخ ، وأن تنضم إلى قراء ليلة عيد الفصح . لكن دوريس لم تكتف بالدراسة الدينية ، حيث إنها بدأت تتطلع إلى دراسة لغات أخرى كالعربية والإنجليزية ، حيث قالت لزوجها :

" אני רוצה ללמוד אנגלית וערבית. וכך התמלאו שעות יומי בלימודים. "(2)

" أنا أريد أن أدرس الإنجليزية والعربية ، وبذا املأ ساعات يومى بالدراسة . "

من الواضح أن دوريس لم تكتف بالدراسة الدينية ، حيث كانت تريد تعلم اللغة الانجليزية ، واللغة العربية حتى تملأ يومها بالدراسة .

ه - زيارة دوريس لعائلتها : -

كانت أول زيارة تقوم بها دوريس لعائلتها بعد إنجابها طفلها الأول "منشيه"وتماثلها للشفاء ، وذلك فى عيد الأسابيع فقد وافقت حماتها – كما تقول دوريس – على زيارتها لعائلتها، شرط أن تترك الصغير مع المرضعة :

" לכי , בתי , לכי. את זכאית לשהות בבית משפחתך. אל תדאגי למנשה." (3)

" إذهبى يا ابنتى . أنت تستحقين أن تمكثى فى بيت أسرتك ، ولا تقلقى على منشيه ."

لقد أحست الحماة بمتاعب دوريس بعد وضعها ولذا اقترحت عليها الذهاب إلى أسرتها، وأن تترك لها منشيه ومرضعته ولا تقلق على الصغير . وكانت هذه هى المرة الأولى التى تترك فيها الفتاة طفلها الصغير منذ ولادته فتذكر :

1- דרוויש ,שלום . פריים פריים ! , עמ' 109 .

2- שם , עמ' 109 .

3- שם ، עמ' 132.

" נפרדנו כשעיני שתינו זלגו דמעות . הנהג הכניס את מזוודתי למכונית ויהודה ליווה אותי. הוא שפתח את דלת המכונית והמתין לי שאכנס ."(1)

" ابتعدنا وأعيننا نحن الاثنين تذرف الدموع . وأدخل السائق حقيبتى فى السيارة .

واصطحبنى يهودا ، فهو الذى فتح لى باب السيارة وانتظرنى حتى أدخل ."

يبدو مدى تأثر البطلة لفراق طفلها الصغير ، حيث كانت هذه هى أول مرة تغادر فيها دوريس بيت زوجها . وقد كانت سعادة أسرة دوريس وجميع أقاربها الذين جاءوا لتهنئتها بالغة ، تذكر دوريس : "כל בנות המשפחה הוזמנו לשם לבוא לברכני ." (2)

" جميع بنات العائلة دعوا لتهنئتى . "

لقد كانت هناك سعادة كبيرة لقدوم دوريس ، حيث حضر جميع أفراد عائلتها للمباركة على الزواج ، ولكن كان هناك العديد من الاستفسارات حول عدم مجىء الصغير معها :

" למה לבדך ? איפה מנשה ? ויהודה . למה לא בא איתך ?
אמא ! באתי להתארח אצלך שבוע שלם . אני רוצה לנוח . ואיזו מנוחה תהיה לי עם מנשה ? היי רגועה . הוא נמצא בידיים טובות . זילפה טובה אליו יותר ממני . יהודה הלך לעבודה ויבוא לראות אותי בערבים ."(3)

" لماذا بمفردك ؟ أين منسى ؟ ويهودا. لماذا لم يأت معك ؟

أمى جئت لأستريح عندك أسبوعًا كاملاً . أريد أن أستريح . فأية راحة تكون بصحبة منسى؟ كونى هادئة . إنه موجود فى أيد أمينة ، زلفا أفضل له بكثير منى .

ذهب يهودا للعمل وسيأتى لرؤيتى فى المساء . "

جاء رد دوريس على أمها حين سألتها عن عدم احضار منسى الصغير ، ويهودا زوجها ، أنها جاءت لكى تستريح من هذا الطفل ، وطمأنت أمها أنه فى أيد أمينة وأن المربية زلفا أقرب له منها . وكانت فرحة الأب والأخوات بالغة ، تحكى لنا دوريس عن أبيها :

1- דרוויש, שלום .פריים פריים !، עמ' 132 .

2- שם ، עמ' 132 .

3- שם ، עמ' 132- 133 .

" הוא אחז אותי בזרועותיו שעה ארוכה והמטיר עלי נשיקות כשהוא לוחץ אותי חזק ללבו . "(1)

" احتضننى بين ذراعيه لوقت طويل ،وأمطرنى بوابل من القبل ، وهو يضمنى بشدة نحو قلبه ".

يبدو من هذا الحديث الداخلى للبطلة مدى شوق أبيها وفرحته لزيارتها ، ولم تكن الفرحة قاصرة على الأب فقط بل أمتدت لتشمل العائلة بأكملها . فقالت عن الأخوات :

" אחיותי באו עם בעליהן ועם הזאטוטים .הן רצו לראות את האחות העשירה ."(2)

" جاءت أخواتى مع أزواجهن وصغارهن . رغبة فى رؤية الأخت الثرية . "

تظهر هذه الجملة السعادة التى جلبتها زيارة دوريس لأسرتها ، ورغبة أفراد عائلتها فى رؤية أختهم دوريس بعد أن تزوجت وأصبحت ثرية .

كما تذكر الفتاة أن زوجها أحضر العديد من الهدايا الثمينة لكل فرد من أفراد عائلتها ، تقول : " היו אלו מתנות נאות ויקרות ערך ." (3)

" كانت هذه هدايا جميلة وغالية الثمن . "

تعبر هذه الجملة عن مدى الثراء الذى أحل بدوريس بعد زواجها فهى لم تأت بأية هدايا ، بل أحضرت هدايا جميلة غالية الثمن .

وخلال هذا الأسبوع الذى قضته دوريس لدى عائلتها ، كان شوقها بالغًا لابنها منشيه ، قالت : "אני מתגעגעת למנשה שלי . אולי הוא בוכה , אולי כואב לו ,אולי הוא רעב ? לב של אמא ! "(4)

" أنا مشتاقة لمنشيه ابنى . هل الآن يبكى ، هل يتألم ، هل جوعان ؟ قلب الأم !"

يبدو واضحاً مدى شوق دوريس لابنها منشيه ، ورغبتها فى رؤيته والاطمئنان عليه .

وعندما أحضر يهودا منشيه لها كى تراه ، أخذ يبكى ، فطمأنته والدتها ، وقالت هذه عادة

1- דרוויש, שלום. פריים פריים ! ، עמ' 133 .

2- שם ، עמ' 133 .

3- שם : עמ' 133 .

4- דרוויש ,שלום . פריים פריים !، עמ' 135 .

الأطفال حين تطالعهم أوجه غريبة ، يرونها لأول مرة (1)

وقضت دوريس الأسبوع، ثم عادت إلى بيت الزوجية، حيث كانت حماتها فى قمة السعادة لعودتها :

" גאתה שמחתה של חמותי . הרגשתי שהיא באמת אוהבת אותי בלב ובנפש."(2)

" زادت سعادة حماتى فى البيت . شعرت بأنها تحبنى حقًا قلبًا وقالبًا ."

تعبر هذه الجملة عن شعور دوريس بحب حماتها التى فرحت وسرت لعودتها إلى بيتها ، وابنها منشيه ، وزوجها يهودا . وبعد عودة دوريس بفترة وجيزة جاء الحمل الثانى ، فكانت حماتها تطلب منها دائمًا أن تحمل مرة أخرى حتى تأتى لها ب" فرايم " الذى سيكون مثل أبيها ، الذى تحبه ، وبالفعل تحقق حلم الحماة حين حملت دوريس ، تقول دوريس :

" כשנוכחתי שאכן הריתי , מיהרתי להביא את הבשורה לחמותי ."(3)

" عندما تأكدت من حملى ، أسرعت بنقل البشرى إلى حماتى ."

تظهر هذه الجملة حب دوريس لحماتها ورغبتها فى ادخال السعادة عليها والبهجة ، حيث إنها أسرعت بنقل خبر حملها إليها .

وحدثت المعجزة حين كان المولود الثانى لدوريس ولدًا ، كما دعت وتمنت الحماة .

جاء بالرواية : " כשנולד פריים והמיילדת בירכה "מזל טוב ", פתחה חמותי בשיר "בסימן טוב, בן בא לנו ..."(4)

" عندما ولد فرايم(5) ، وهنأت القابلة مبروك ، بدأت حماتى فى الغناء بطريقة جميلة ، ولد جاء إلينا .... "

تعبر هذه الجملة عن السعادة البالغة للجميع بداية من القابلة ، وحتى الحماة التى راحت تغنى لهذا المولود الذكر الذى انجبته دوريس ، وقد كان هذا المولود هو المولود

1- للمزيد انظر ، روبرت واطسون وهنرى كلاى : سيكولوجية الطفل والمراهق ، ص 123 –124 .

2- דרוויש, שלום . פריים פריים !، עמ'143 .

3- שם , עמ' 147 .

4- שם , עמ' 154 .

5- ورد اسم إفرايم فى المقرا ، وهو اسم الابن الثانى لسيدنا يوسف عليه السلام .

للمزيد انظر –אבן שושן, אברהם .קונקורדנציה חדשה ,עמ' 103.

الثانى ليهودا ودوريس . وجاءت جميع العائلة لتهنئة دوريس بالولد الثانى(1) ومن بين المهنئين عمتها ،وحبيبتها دينا التى اقتربت منها وقالت :

" דוריס , אכן הוא דומה מאוד מאוד לסבא פריים ." (2)

" دوريس ، بالطبع هو يشبه جدًا الجد " فرايم " . "

وتذكر دوريس أنها حاولت أن تعطى فرايم ما لم تستطع إعطاءه لابنها الأول منسى ، فلقد أرضعته ولم تتركه للمرضعة زيلفا حيث قالت :

" הינקתי אותו משדי ולא נתתיו לזילפה .טיפלתי בו בעצמי . אפרים הבן יקיר לי מכל ."(3)

" أرضعته من ثديى ولم أعطه لزلفا. فلقد رعيته بنفسى . فإفرايم الابن أغلى عندى من الجميع . "

تعكس هذه الجملة شعور البطلة بالرضا عن حياتها بعد مولد ابنها الثانى إفرايم ، حيث إنها آثرت إرضاعه بنفسها ولم تعطه لزلفا المرضعة ، كما فعلت مع أخيه منسى ، ويشير لذلك أيضاً قولها " אפרים הבן יקיר לי מכל " . " إفرايم الابن أغلى عندى من الجميع . "

وتنتهى الرواية بهذه النهاية السعيدة ، وشعور الفتاة بالرضا عن حياتها وابنها الثانى .

1- דרוויש, שלום . פריים פריים !، עמ' 156 .

2- שם ، עמ' 157 .

3- שם ، עמ' 159 .

الخاتمة :-

1 – أثبتت الدراسة أن يهود العراق كانوا يعيشون فى أمن ورخاء على أرض العراق، وهو ما أشار إليه الكاتب بين السطور فى أكثر من موضع ،مثل ذكره للكنيس الفخم الذى ببغداد الذى تمت فيه مراسم الزواج .

2– عدم ذكر الكاتب لأي شخصية عربية في الرواية، يشير إلي أن يهود العراق، كانوا يعيشون حياة رغدة مع مواطني العراق ، ونلاحظ من خلال الرواية تأثر هؤلاء اليهود بالمجتمع العربي ، من ذلك مثلاً ألعاب الصبية التي لازالت تمارس بالعراق حتي يومنا هذا ، ومراسم الخطبة والزواج والصباحية ، دور العمة والحماة ، والاهتمام بالمولود الذكر ، وعدم خروج الزوجة من البيت حتي تنجب .

3– المكانة السيئة للمرأة ، ومعاملتها كسلعة تباع وتشتري ، فبمجرد قدوم عريس ثري ، لن يكلف العائلة اليهودية الفقيرة أية التزامات ، يتم تزويجه بفتاة لم تتجاوز التاسعة من عمرها .

4– مكانة المرأة اليهودية الشرقية تتحدد وفقاً لنوع مولودها ، فنجد أن بطلة روايتنا كانت تعامل كسلعة لا قيمة لها ، ولكن بعد انجابها للولدين بدأت تتحسن مكانتها ، لأنها أنجبت ذكرين . وهى نفسها بدأت تشعر بالرضا عن حياتها . وهو ما يعكس تأثر الكاتب بثقافة الشرق .

5– حرص الكاتب على إظهار حرص المجتمع اليهودي علي التعليم ، و نلمح ذلك من خلال إصرار بطلة الرواية علي استئناف تعليمها بعد زواجها ، إذ قامت بدراسة "التناخ" وتعلم اللغتين العربية والإنجليزية .

6- نجح شالوم درويش في تقديم صورة من صور الحياة اليهودية علي أرض العراق عن طريق شخصياته المبدعة ، وأسلوبه الخصب في رسم صورة جديدة لمعانة المرأة اليهودية الشرقية ،وأهم مشكلة في حياتها ،خاصة فكرة الزواج المبكر ، حيث استطاع أن يعكس لنا وبصدق معاناة دوريس في زواجها من يهودا الذي يكبرها بستة وعشرين عاماً .

7- تميزت كتابات شالوم درويش فى هذه الرواية بنقل الواقع الاجتماعى ليهود العراق ، فى إطار الاهتمام بالحوار الذى انطلق على لسان أبطاله ، فيلاحظ أن الرواية جاءت عبارة عن حوار ، البطلة الأولى فيه " دوريس " ، وشاركتها بعض الشخصيات الحوار ، وفى مقدمة هذه الشخصيات العمة " دينا " .

أولاً المراجع العربية :

1- إحسان محمد الحسن(د.) : العائلة والقرابة والزواج ، دار الطليعة ، بيروت ، 1985 .
2- أحمد حماد (د.) : الاغتراب فى الأدب العبرى المعاصر ، عالم الفكر ،عدد3 ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون ، الكويت ، 1996.
3- باسل يوسف النيرب : المرأة فى إسرائيل ، ط 1 ،مكتبة العبيكان ، الرياض ، .2006
4- جلاء إدريس(د.): صورة اليهودى الشرقى فى الأدب العبرى المعاصر،عالم الفكر،عدد3، المجلس الوطنى للثقافة والفنون ، الكويت ، 1996 .
5- جمال عبد السميع الشاذلى(د.) ونجلاء رأفت (د.) : القصة العبرية الحديثة مراحلها وقضاياها ، ط3 ، الثقافة للنشر، القاهرة ، 2008 .
6- ديب على حسن : المرأة الصهيونية ، ط 1 ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، 1995 .
7- روبرت واطسون وهنرى كلاى : سيكولوجية الطفل والمراهق ، ترجمة د . داليا عزت مؤمن ، مكتبة مدبولى، القاهرة ، 2004.
8- سامية محمد فهمي(د.):مشاركة المرأة العربية في التنمية،دارالمعرفة،الإسكندرية،2002 .
9- سناء الخولى(د.) : الزواج والعلاقات الأسرية ، دار المعرفة ، الاسكندرية ، 1979 .
10- سهام نصار : اليهود المصريون بين المصرية والصهيونية ، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة ، د.ت.
11- سوزان السعيد يوسف (د.): المرأة فى الشريعة اليهودية حقوقها وواجباتها (دراسة مقارنة مع حضارات الشرق الأدنى القديم)، عين للدراسات والبحوث، القاهرة ،2005 .
12- سيد سليمان عليان(د.) : نساء العهد القديم – دراسات في الأنساب والمعاني ، ط1، مكتبة مدبولى ، القاهرة، 1996 .
13- صموئيل إتنجر : اليهود في البلدان الإسلامية 1850م-1950م ، ترجمة د.أحمد جمال الرفاعي، عالم المعرفة ، الكويت ، 1995م ، نسخة الكترونية .
14- عبد المنعم الحفنى(د.): موسوعة الطب النفسى ،ط4 ، مكتبة مدبولى، القاهرة ،2003 .
15- عبد الوهاب لمسيرى(د.):موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ج3، دار الشروق، القاهرة ،1999 .
16- عمران أبو صبيح(د.) : الهجرة اليهودية حقائق وأرقام ، دار الجليل ، عمان ، 1991 .
17- غازى السعدى: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجليل للنشر، عمان ، 1994 .
18- محمد سبعاوى محمد (د.) : الزواج فى الشريعتين اليهودية والاسلامية،رسالة دكتوراة ، غير منشورة ، كلية اللغات والترجمة ، جامعة الأزهر ، 1984 .

19- نادية حامد قورة : تاريخ المرأة في الحياة النيابية في مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1996م .
20- نبيل عبد الحميد سيد(د.):الحياة الاقتصادية والاجتماعية لليهود فى مصر1947-1956، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، 1991.
21- نيفين مصطفى زيور(د.): الاضطرابات النفسية عند الطفل والمراهق ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1998 .

ثانيًا المراجع العبرية

1- יהושע , א.ב. בזכות נורמליות , ה' שוקן , ת"א ,1980 .
2- אבן שושן , אברהם. קונקורדנציה חדשה , ה' קרית ספר , ירושלים , 1988.
3-- שאנון , אברהם. הספרות החדשה העברית והכללית , ה' יבנה , ת"א ,1959 .
4- אנציקלופדיה יהודית , חנוך , חדר .
http: // WWW . daat.ac.il/encyclopedia/value.asp?id1
5- האנציקלופדיה העברית , ה' ספרית פועלים , ירושלים , 1988 .
6- בלאו ,יהושע . דקדוק עברי שיטתי , חלק א, ה' המכון להשכלה , ירושלים ,1975.
7- פרס , יוחנן.יחסי עדות בישראל , ה' ספרית פועלים ,תל-אביב , 1985 .
8- אורן , יוסף . מגמות בסיפורת הישראלית ,ה' יחד , 1995 .
9- לקסיקון הספרות העברית החדשה , סמי מיכאל
http: // WWW library. Osu.edu/projects/Hebrew-lexicon/00355.php.
10- ספרים חדשים ביוני 2005
http: // WWW text . org.ilindex.php?
11- ג'נור, פני. פערים חברתיים וכלכליים בישראל , ה' עם עובד,תל-אביב, 1963.
12- דרוויש, שלום . פריים פריים !، ה' בימת קדם לספרות ، תל- אביב ، 1986.
13- תנ"ך : תורה ,נביאים ,וכתובים .

ثالثًا المراجع الاجنبية

1- Encyclopaedia Judaic ,vol (.11- 16) Keter House Jerusalem,1971.

رابعًا مواقع شبكة الإنترنت

1-http: // WWW .almadapaper.net\sub\08-756\p16.htm.
2−http: // WWW aloroba news.com.
3-http: // WWW awsat.com/ detalls.asp?section.
4-http: // WWW . benaalajyal.com/ pro/play.abhp?catmktba=117
5- http: // WWW . daat.ac.il/encyclopedia/value.asp?id1
6− http: // WWW .ech.chaab.net/old/index.php.?
7 -http: // WWW tatoopaper.com/ news.php?
8−http: // WWW . tebyan.net/ index.aspx?pid
9-http: // WWW he .Wikipedia. org
10-http: // WWW btb44.com /vb /showth read.php